المبحث الثانى

التنشئة الاجتماعية للطفل

مقدمة:

تشير التنشئة الاجتماعية فى معناها الواسع [١] إلى الأساليب أو الطرق التى يمكن بها تربية الأطفال، بمعنى أنها العملية التى من خلالها يتربى وينشأ الطفل حتى يصلب عوده، ويصبح عضوا مشاركا فى مجتمع خاص، كما أنها العملية التى تنقل من خلالها متطلبات وعناصر الثقافة إلى الجيل الجديد أثناء عملية النمو وهى تحتوى على عناصر التدريب الخاص بخلق مهارات التكيف والتوافق، والتى تعتبر ضرورية فيما يتعلق بعمليات الرضا وسد الاحتياجات والرغبات الضرورية للفرد.

فالتنشئة الاجتماعية هى عملية تعليم وتعلم وتربية [٢] ، تقوم على التفاعل الاجتماعى وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعى معها، وتكسبه الطابع الاجتماعى وتيسر له الاندماج فى الحياة الاجتماعية.

ومن ثم يتحول الفرد من طفل يعتمد على غيره ومتمركز حول ذاته ولا يهدف فى حياته إلا إلى إشباع حاجاته الفسيولوجية إلى فرد ناضج يدرك معنى المسئولية وكيف يتحملها ويسلك معتمدا على ذاته ويستطيع أن يضبط انفعالاته ويتحكم فى إشباع حاجاته، فيشبع ما يسمح به المجتمع ويقمع الحاجات التى يرفض المجتمع إشباعها ويدرك قيم المجتمع ومعاييره [٣].

١- محمد عباس، مرجع سابق، ص ص ٢٧٣، ٢٧٤.
٢- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعى، ط٥، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤)، ص ٢٤٣.
٣- أحمد عبد العزيز سلامه، عبد السلام عبد الغفار، علم النفس الاجتماعى، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٦) ص ٨٠.

وهكذا نرى إنها عملية تربوية نابعة من النظام الاجتماعى الذى أنشأه المجتمع المحلى ورضى به، وارتضاه دستورا وطريقا لحياته. فتختلف أساليب التنشئة الاجتماعية من مجتمع إلى آخر باختلاف ثقافة المجتمع، فإن ما يعد معيارا مطلوبا فى مجتمع ما، قد يعد مرضيا أو شذوذاً أو انحرافا فى مجتمع آخر، وأيضا تختلف أساليب التنشئة باختلاف الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد.

وقد تتم العملية بشكل مباشر عن طريق تدريب الطفل على نماذج السلوك المقبولة اجتماعيا، وتعويده على طرق التفكير السائدة فى المجتمع، وقد تتم بشكل غير مباشر عن طريق تقليد الطفل ومحاكاته لسلوك الكبار من أفراد المجتمع.

وتلك العملية رغم إنها عملية تربوية مكتسبة من الحياة المحيطة، إلا إنها تعتمد على استعداد الفرد وقدراته، وطبقته الاجتماعية، ومستواه التعليمى، أى أن استيعاب كل فرد من الأفراد يختلف عن استيعاب فرد آخر فى نفس الظروف وفى نفس البيئة، وتربوا تربية متساوية ومتشابهة إلا أن تكيفهم وتطبعهم يكون مختلفا فى المراحل العمرية المختلفة، وكذلك تكون النتيجة مختلفة، لأن عملية التطبيع عملية مستمرة مدى الحياة وتخضع لمؤثرات خارجية وأخرى داخلية، هذه المؤثرات هى التى تؤثر فى اختلاف التطبيع والتطبع، وهى التى قد يترتب عليها الكثير من المشكلات الأسرية.

ويمكن تصنيف هذه المشكلات الأسرية حسب العوامل التى تتدخل فى إحداثها إلى مشكلات بيئية ومشكلات ذاتية. ويعنى بالمشكلات الذاتية هى تلك التى تتصل بذات الفرد نفسه ودائما ترتبط بجوانب الشخصية الأربعة وهى الجوانب الجسمية، الجوانب العقلية، والجوانب النفسية والجوانب الاجتماعية، حيث ترجع المشكلات الذاتية إلى قصور فى جانب أو أكثر من تلك الجوانب. ومعظم المشكلات الذاتية للأطفال تتحدد فى ضوء ما يتوفر للأسرة من صحة نفسية، وفى ضوء ما يجرى فى المجتمع من تغير اجتماعى

ومن المشكلات الذاتية التى ترتبط بمشكلات الجانب الجسمى مثل وجود عاهات أمراض، ومشكلات الجانب العقلى مثل التخلف العقلى والتأخر الدراسى، ومشكلات الجانب النفسى كالتبول اللاإرادى، الكذب، الخوف، الانطواء، العدوان، قرض الأظافر والمشكلات التى تتعلق بالجانب الاجتماعى كالتخلف الدراسى والتسرب.

أما المجموعة الثانية فهى العوامل التى تتصل ببيئة الطفل المحيطة بذاته سواء كانت بيئة داخلية متمثلة فى الأسرة أو بيئة خارجية متمثلة فى المدرسة أو العمل أو الجيرة أو النادى أو جماعة الرفاق، أو أى مكان يحيط بالبيئة الداخلية يؤثر فيها ويتأثر بها.

وتتمثل أهم مشكلات البيئية الداخلية التى تؤثر بدرجة كبيرة على اضطراب الأسرة أو تماسكها واتزانها فى الاتجاهات الوالدية والاستقرار العاطفى والقيم الاجتماعية لدى الآباء، نوع المعاملة للأطفال، ومشكلات انخفاض المستوى الثقافى للأسرة وما له من علاقة بانهيار المستوى الأخلاقى، ومشكلات تنتج من انخفاض المستوى الاقتصادى حيث يؤثر فى تماسك الأسرة ويعرض الأطفال إلى كثير من التجارب القاسية والإحباط الذى يدفعهم للانحراف.

ويجدر القول بأن العوامل البيئية لا يمكن فصلها عن العوامل الذاتية، بل هما مجموعتان من العوامل المتشابكة المتفاعلة لدرجة لا يمكن الفصل بينهما.

وخلاصة يمكن القول بأن النمو والتطبيع الاجتماعى للطفل يتأثر بالعديد من العوامل أهمها:

- المؤثرات الثقافية والاجتماعية التى تؤثر فى شخصيته منذ اليوم الأول لولادته وتعكس بصفة خاصة شبكة العلاقات داخل الأسرة مثل العلاقة بين الوالدين علاقة الأباء بأبنائهم (الاتجاهات الوالدية)، ودور الأم وأسلوب معاملتها فى تغذيته وطرق إطعامه [1]،وفطامه وطرق التدريب على الإخراج وأساليب العقاب.

١- إبراهيم ناصر،دلال ملحس استيتية،علم الاجتماع التربوى،(عمان:جمعية عمال المطابع التعاونية،١٩٨٤)،ص٢٠٠

- البيئة المادية والاجتماعية المحيطة بالطفل، كحجم الأسرة، المركز الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للأسرة، سن الآباء وعلاقاتهم بأبنائهم، ترتيب الطفل وسط اخوته [١].
- أساليب التنشئة الاجتماعية فى الأسرة متمثلة فى التوجيه المباشر، التوجيه عن طريق المشاركة فى المواقف الاجتماعية المختلفة، التوجيه عن طريق الثواب والعقاب، الاستجابة لأفعال الأطفال بصورة مباشرة [٢].
- الأساليب التربوية غير السليمة مثل الحرمان، الإهمال والنبذ، الإفراط فى العقاب الصرامة والقسوة، الإفراط فى التسامح والتساهل، الإفراط فى الرعاية والحماية[٣].
- علاقة الطفل بمدرسته ومجتمعه القائم [٤].
- المعتقد أو الدين، والنظام السياسى لبيئة التطبيع الاجتماعى [٥].

والنظرة المتكاملة حول موضوعات التنشئة وبناء الشخصية تجمع بين فهم عناصر البناء الاجتماعى والثقافى، إلى جانب التركيز على المؤثرات التى تقوم بها العمليات السيكولوجية فى حياة الطفل حيث ترتبط المواقف التى تتم من خلالها عملية التنشئة الاجتماعية ارتباطا وثيقا بالأساليب التى تتبعها الأسرة مع الطفل فى هذه المواقف، وهو ما يدعونا إلى استعراض أهم تلك الأساليب والمؤثرات وتوضيح أثارها على شخصية الطفل.

١- عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية النمو- دراسة فى نمو الطفل والمراهق، (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٨٧)، ص ١٩٥.
٢- إقبال محمد بشير، إقبال إبراهيم مخلوف، مرجع سابق، ص ٧٨.
٣- المرجع السابق، ص ص ٧٩، ٨٠.
٤- فؤاد البهى السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، مرجع سابق، ص ٢٦٢.
٥- إبراهيم ناصر، دلال ملحس استيتية، مرجع سابق، ص ٣٨.

المؤثرات البيئية والأساليب الوالدية المؤثرة على شخصية الطفل:

أولاً: أثر الأسرة والتفاعل بين وحداتها:

دراسة المواقف الأسرية لها أهمية كبرى فى عملية التنشئة الاجتماعية بصفة عامة وفى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل بصفة خاصة، فقد أصبح من المسلمات الأساسية فى جميع العلوم الاجتماعية التى تعنى بدراسة السلوك الإنسانى التأكيد على أهمية المواقف الأسرية فى تشكيل الشخصية الإنسانية. فالأسرة مجتمع متكامل بكل صفات المجتمع، وهى المجتمع الأول الذى يولد وينشأ فيه الطفل ويتعامل معه وهذا المجتمع هو أقوى المؤسسات الاجتماعية التى تحيل الطبيعة الإنسانية الأصلية إلى شخصية اجتماعية متكيفة.

ويأتى المناخ الأسرى الذى ينشأ فيه الطفل، وأساليب الرعاية التى يتبعها الوالدان أو من ينوب عنهما فى تربية الطفل فى السنوات الأولى من حياته، فى مقدمة العوامل التى تؤثر على شخصية الطفل ونموه وتطبعه.

أ- المناخ الأسرى:

للعلاقات داخل الأسرة دور هام وخطير فى تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه لذلك وجب علينا أن نعطى أهمية خاصة للتفاعل العائلى وأثره على الطفل. وإذا كنا نريد لأبناء وأجيال المناطق العشوائية -وأجيالنا بصفة عامة- كياناً سليماً ونمواً صحيحاً وسلوكاً قويماً، فالأسرة هى مصدر ذلك أولاً، وما عداه يتلوه ويتبعه.

فالأسرة هى القادرة على الحماية والرعاية وإعطاء الحنان والعطف، وإحاطة الأبناء بالانتباه والتوجيه وغرس المبادئ والقيم والجدية فى الحياة والوفاء والإخلاص فى حمل الأمانة والإلزام بكل متطلبات الحياة وأسلحتها ومقوماتها، فإذا أهملنا الأسرة وتركنا علاقاتها تقوم على روابط واهية ضعيفة يتلاعب بها الإنسان على أساس من جهل أو عدم فهم لمقوماتها واستهتار بأصولها وأسسها، لكانت نتائج ذلك وبالاً على أفرادها، وعلى

الأخص أطفالها الذين هم فى حاجة لجو أسرى سليم يعيشون فى كنفه وينمون فى محيط استقراره ودفئه، ولا يتوافر هذا الجو إلا بصنع الوالدين وبشعور من مسئوليتهما.

فيستقيم معدل نمو الطفل بوجود الجو الأسرى السوى، وأساس الحياة الزوجية فى شريعة الإسلام هو المودة والرحمة حيث يقول عز وجل

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً .... ﴾ (١)

ومن ثم فالعلاقة الزوجية التى تقوم أساسا على التوافق بين الزوجين تؤدى إلى التماسك الأسرى والسعادة الزوجية التى تنعكس على صحة الطفل النفسية وتكيفه. كما ينحنى نمو الطفل واستعداداته فى جو يسوده الكيد والصراع والضغينة والمنازعات والمشاحنات، فتؤدى خلافات الوالدين إلى إهدار صحتهما وطاقاتهما ومقدرتهما، ويؤثر ذلك على رعاية الأولاد والتنشئة الاجتماعية السوية لهم، وقد تؤدى إلى الطلاق الذى يؤدى إلى حرمان الأطفال من الرعاية الأسرية.

أ-١ الآثار الإيجابية للتوافق الزواجى:

تؤكد جميع الأبحاث العلمية أن الطفل يمر فى طفولته الأولى بعملية تربوية لها من الآثار ما يفوق أثر أية عملية تربوية فى أية فترة لاحقة من حياته، حيث يتعلم كثيرا من الخبرات التى تساعده على التوافق السوى، فإذا نشأ فى جو عائلى يتميز بالاستقرار النفسى والدفء العاطفى، استطاع أن ينمو نموا سليما، ويتميز بالقدرة على التوافق مع نفسه، ومع المجتمع الذى يعيش فيه.

فالتناغم العائلى بين الزوج والزوجة يعد القاعدة الصخرية التى تتيح للوالدين القدرة على تحقيق الوظائف المنوطة بهما، كما أن التوافق والأمن النفسى للأطفال دائما فى

١- سورة الروم : من الآية ٢١ .

علاقة دالة موجبة [١] مع هذا الزواج المتناغم، وكذا يلعب دورا هاما فى تشكيل التنميط النوعى لهم وتوافقهم المدرسى وانتظامهم فى المدرسة وارتفاع تحصيلهم الدراسى.

وقد أكدت دراسة دايموند ١٩٧٩ على وجود علاقة بين الترابط الأسرى وحرية التعبير والروح المعنوية العالية والقدرة على أداء الأعمال والمهام الاجتماعية [٢]. كما يدرك أطفال الأسر المترابطة الكثير من الخبرات، ويشعرون بالإشباع العاطفى مما يساعدهم على التفكير الموضوعى، والبعد عن الاهتمام بالذات والتركيز عليها [٣].

وكلما اتسم جونا الأسرى بالنضج الانفعالى كلما جنبنا أفراد الأسرة الكثير من الرواسب النفسية الطفولية، والكثير من المشاعر السلبية مثل مشاعر النقص ومشاعر الذنب ومشاعر الاضطهاد التى تكون دافعا للكثير من الاضطرابات الأسرية [٤].

أ-٢ الأثار السلبية لعدم التوافق الزواجى:

يعد سوء العلاقات الأسرية من أهم المشكلات التى تواجه البيئة الداخلية، فهناك مشكلات نتيجة سوء العلاقات بين الأب والأبناء أو بين الأم والأبناء أوبين الأبناء وبعضهم البعض وكل ذلك يكون نتيجة طبيعة لسوء العلاقات بين الأبوين، وينعكس ذلك كله على الأطفال فى صورة مؤثرات انفعالية ومشكلات نفسية، ويترتب عليه طفولة ضائعة تعانى من الحرمان العاطفى والشقاء العائلى والفشل وخيبة الأمل والحرمان.

فالوالدان كثيرا الخصام - ولا سيما إذا كان خصامهما على مرأى ومسمع من الأطفال وبحضورهم - يميل أطفالهم عادة إلى تبنى الخصام طريقة فى الحياة ويكون تعلقهم بوالديهم وصلاتهم بهما مضطربة. ولعل الأهم من هذا وذاك هو الأثر الذى تتركه هذه

١- صلاح الدين عبد القادر، "أثر الرعاية الأبوية على مشاركة الأبناء فى الأنشطة التربوية والتحصيل الدراسى" مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، العدد ٢٦، ١٩٩٩، ص ١٦.

2-Dimond,M.(1979):Social support and adaptation to chronic illness: The case of maintenance hemodialysis. Research in Nursing and Health, v. 2, p. 108.

٣- برنار فواز، نمو الذكاء عند الأطفال، ترجمة منير العصره، (القاهرة: دار النهضة المصرية)، ١٩٧٦، ص ٢٦.

٤- محمد سلامة محمد غبارى، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب، ، ط ٢، (الإسكندرية: المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٩)، ص ٥٥.

العلاقات المضطربة فى نفسية الطفل ومواقفه وسلوكه واعتقاده أن الحياة الزوجية شر قائم على الخصام والعراك والإهانة والاحتقار ثم نقله هذا كله إلى حياته المقبلة ولا سيما العائلية منها [١].

ويذكر روبرت شيلدز أن شجار الوالدين يفقد الطفل شعوره بالأمن والطمأنينة، لأنه يخاف على مصيره، وقد يخشى الشجار أن يتحول إليه فيضربه أبوه أو تضربه أمه أو يقسوان عليه ومن المحتمل أيضا أن يظن أنهما يتشاجران بسببه، فيشعر بالذنب والبؤس وكثيرا بالحيرة والبلبلة بين أن ينضم لأمه أو لأبيه، ويصبح فى وضع متأرجح يملؤه الخوف والقلق والإحساس بالضياع مما يفقده الثقة فى نفسه وفى غيره من الناس [٢].

وعلى الجانب الآخر فإن العلاقات المضطربة بين أفراد الأسرة قد لا تكون ضارة فى ذاتها بشكل مباشر فحسب، وإنما يمكن أن تكون ضارة كذلك بشكل غير مباشر، فقد توصلت دراستا بل وبل ١٩٨٢[٣]، وليفينسون ١٩٨٦[٤]، إلى أن الأطفال الذين سجلوا درجة منخفضة فى كل من نمو الأنا والقبول والتوافق النفسى ينتمون إلى أسر ذات انساق زواجية أكثر ضغطا ومتصارعة. وأكد ذلك ما توصل إليه ويتشل ١٩٩١ من أن الأسر المهدمة والمختلفة وظيفيا تؤثر تأثيرا بالغا على النمو النفسى للأبناء مما يشعرهم بالاضطراب النفسى [٥]، ويتسبب فى إحساسهم بعدم الأمن وعدم توازنهم النفسى [٦]

١- أمانى عبد المجيد حسن عتلم، دراسة أثر بعض المتغيرات الأسرية على التوافق النفسى للأطفال، مرجع سابق، ص ٤٣.

٢- ممدوح عبد الرحيم الجعفرى، التربية الأخلاقية فى مؤسسات ما قبل المدرسة (دراسة تحليلية)، دراسات وقضايا رياض الأطفال (٢)، ط٢، (الإسكندرية: المكتب العلمى للكمبيوتر والنشر والتوزيع، ١٩٩٦)، ص ٦٤.

٣- سيد أحمد عبده عجاج، مدى فاعلية برنامج إرشادى فى تحسين التفاعل الأسرى وانعكاس ذلك على التوافق النفسى لدى الأطفال، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، فرع بنها، ١٩٩٥، ص ٧.

4 -Levenson, R. (1986): Self concept of preadolescent siblings and their relation ship to parental control achievement orientation, and family cohesion. Dissertation Abstracts International, v. 47, No. 2, p. 474.

5 -Witchel, R., 1991: The impact of days functional families on collage students development. New Directions for Student Services, No. 54, pp. 5-17.

٦- صلاح الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص ١٦.

وبالتالى يتسبب فى إحداث سوء التوافق الاجتماعى [١].

وقد تناولت دراستا براتشر ١٩٨٦[٢]، وفلور ١٩٨٠[٣] ، نظام العلاقات الوالدية ومشاكل سلوك الأطفال داخل الأسرة، وتمخضتا عن وجود علاقة قوية موجبة بين القلق والاكتئاب والخجل ومشاكل الأطفال مثل عيوب الكلام، والتأخر فى النمو، ونظام العلاقات المتوترة بين الوالدين.

وأوضحت دراسة سكورسبى ١٩٧٦ أن الأسر التى تعانى من تفكك ومشاكل نفسية أقل ترابطا وحرية فى التعبير وأكثر صراعا وأن بعضها يعانى سوء التنظيم، ولا يهتم بالاستقلال والإنجاز والدين [٤].

وتوصلت دراسة ماكورد ١٩٧٩، إلى أن الأطفال الذين يتميزون بالسلوك العدوانى يأتون من بيئات أسرية تكثر فيها المشاجرات بين الوالدين واستخدام العنف والعدوان ضد الطفل ونقص الإشراف والرعاية والاهتمام من قبل الوالدين للطفل، كما أن سلوك الوالدين لا يتصف فى الأغلب بالعطف والحنان تجاه أبنائهما [٥].

ولقد أشارت الدراسات إلى أن الطلاق العاطفى بين الوالدين أشد خطرا على النمو النفسى للأطفال من تصدع أسرهم بالطلاق، فقد وجد أن عدم انسجام الوالدين فى حياتهما الزوجية سمة شائعة فى أسر الجانحين [٦]. فالتفاهم بين الوالدين وتقدير كل

1 -Belsky, J., Youngblood, L., Rovine, M. and Volling, B., 1991. Patterns of Marital change and parentt-child interaction. Journal of Marriage and family, 53, pp. 487-498.

2 -Bratcher, W.E. (1986): Parental relationship styles and childd behartor problems. Dissertation Abstracts International, v. 47, No. 5, p. 1653.

3 -Flower, P. (1980): Family environment and early behavioral development: A structural Maljsis of dependencies. Psychological Reports, v. 47, pp. 611-617.

4 -Scoresby, A. (1976): Differences in interaction and environmental conditions of clinic and non-clinic families: Implications for counselors. Journal of Marriage and Family Counseling, v. 2, pp. 63-71.

5 -Mccord, J., 1979: Some child-rearing antecedents of criminal behavior in adult man. Journal of personality and social psychology. v. 37, pp. 1477-1486.

٦- سيد أحمد عبده عجاج، مرجع سابق، ص ص١٠١، ١٠٣.

منهما للأخر، من أهم مقومات سعادة الأسرة، فالأباء غير الراضيين عن حياتهم الزوجية يكونون غير قادرين على تعليم أبنائهم حسن التكيف، فحدوث أى خلل أو اضطراب للأسرة يحولها إلى بيئة نفسية سيئة لنمو الأطفال حيث تكون بمثابة مرتع خصب للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والاجتماعية.

من أسباب عدم التوافق الزواجى:

- عمل الزوج:

يؤثر عمل الزوج بدرجة كبيرة على الجو الأسرى، وظروف العمل المؤثرة على كيان الأسرة كثيرة متعددة منها: طول ساعات العمل وتغيب الزوج أو الزوجة فترة طويلة عن البيت، وما يترتب على ذلك من ضعف الرقابة الأسرية وغياب السلطة الضابطة ويكون ذلك سببا للكثير من المشكلات والأزمات الأسرية.

ويضاف إلى طول ساعات العمل ضعف الأجور وما يترتب عليه من آثار نفسية ومعنوية، فكلما كان العمل مريحا ومناسبا بحيث يشعر الفرد براحة نفسية وطمأنينة مادية كلما عاد هذا الفرد إلى أسرته مرتاح النفس وبالتالى يستطيع التفاعل مع أفراد الأسرة بصورة طيبة[1]. وتنعكس تلك المشاعر بما تحدثه من تفاعل أسرى ورضا الزوج عن زوجته وتوافقه معها على ظروف العمل فتجعله يقبل عليه بالحب والرضا، لذلك اهتم المرشدون النفسيون فى الإرشاد الزواجى والأسرى بمساعدة الأزواج على النجاح فى العمل والتوافق معه، من أجل سلامة الأسرة وترابطها وعلاج مشاكلها [2].أما فشل الزوج فى عمله أو تعطله عن العمل فيجعله غير راض عن نفسه، غير واثق فيها وتنعكس هذه المشاعر سلبا على تفاعله فى الأسرة.

١- محمد سلامة محمد غبارى، مرجع سابق، ص٦٠.
٢- سيد أحمد عبده عجاج، مرجع سابق، ص ٣٥.

- سوء اقتصاديات الأسرة ومصاعب الحياة اليومية:

يتمثل سوء اقتصاديات الأسرة فى انعدام الدخل أو انخفاضه أو عدم تناسبه واحتياجات الأسرة والتزاماتها، وقد يكون ذلك نتيجة لبطالة رب الأسرة، أو انخفاض الأجر أو لعدم الموازنة بين دخل الأسرة ومصروفاتها، أو لوفاة عائل الأسرة، أو لزيادة عدد أفرادها، أو بسبب المرض أو العجز أو الخروج على المعاش. وأيا كان السبب فالنتيجة واحدة، وهى الفقر الذى يعد من أخطر المشكلات التى تواجه الأسرة، وقد تؤدى بما يترتب عليه من مشكلات إلى انهيار الأسرة وتفككها.

ومن تلك المشكلات ما يتعرض له الزوج الذى يعجز عن سد احتياجات أسرته إلى عدم احترام ضمنى يظهر فى إهمال وتجاهل وتجريح الزوجة والأبناء له [1]، مما يؤدى إلى عجز الزوج عن مباشرة أى نفوذ أو أى سلطة على أسرته، طالما أنه لا يستطيع تقديم مزايا اقتصادية لهم.

وينعكس هذا فى سوء معاملته لأسرته، فسوء معاملة الأباء قد يكون نتيجة للضغط والإحباط الذى يواجه الأباء فى محاولتهم اليومية للتغلب على المصاعب والضغوط فى بيئتهم الاجتماعية، نتيجة طغيان المشكلات الاقتصادية فى المجتمع وتعدد مظاهرها فى الأسر مثل ضيق المسكن، وتدنى مستوى الخدمات الصحية، وانشغال الأباء بالعمل معظم ساعات النهار سعيا للكسب وملاحقة إشباع حاجات الأسرة. وهذه العوامل قد أدت إلى تنحية المهمة التربوية للأسرة جانبا أمام ضغوط الحياة الاقتصادية، وأضحى الدور التربوى للأسرة دورا هامشيا. ومن وجهة النظر هذه فإن تخفيف الضغط الذى يواجههم خاصة أبناء الطبقة الأدنى هو التوصية الرئيسية لتحسين سوء المعاملة.

١- عبير سمير عبد الرازق، "خصائص البيئة الاجتماعية والفيزيقية المرتبطة بالمشكلات الأسرية ودور مكاتب التوجيه والاستشارات فى مواجهتها"، رسالة ماجستير، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس ٢٠٠١، ص ١٣٥.

لقد احتلت مصالح الأطفال والحرص على عدم تعريضهم للحرمان والأضرار وضعا هاما فى المجتمعات قديمها وحديثها، وظهرت فكرة الضمان الاجتماعى الذى تنظمه الحكومات وأخذت تنتشر. وكانت إنجلترا أول دولة حديثة تضع قانونا يخص رعاية الطفولة ففى عام ١٦٠١ وضعت قانونا يعرف "بقانون الفقراء" نص على وجوب دفع مساعدات مالية لتربية الأطفال المشردين، ومساعدات أخرى للأباء الفقراء، أو لمن يعول أطفالا فقراء، وفى عام ١٨٨٩ صدر قانون أخر يعطى من يعول الأطفال الفقراء حق تبنيهم، وتبعه فى عام ١٨٩٩ قانون أخر يدخل الأطفال اليتامى أو أبناء العجزة أو أبناء المساجين ضمن فئات الأطفال التى خصها قانون ١٨٨٩ [١].

وقد تم التأكيد على أهمية تقديم الرعاية اللازمة للأطفال المهملين والمحرومين فى الاتفاقية الدولية رقم ١٠٢ بشأن المستويات الدنيا للضمان الاجتماعى، والتى أقرها المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية فى سنة ١٩٥٢، وكذلك الاتفاقية العربية بشأن المستوى الأدنى للتأمينات الاجتماعية التى أكدت على أهمية تأمين المنافع العائلية ورعاية الطفولة المحرومة والمحتاجة [٢]. وتمثل هاتان الاتفاقيتان شبه إجماع على أهمية رعاية الأطفال المحتاجين وتقديم الرعاية والعون لهم ولأسرهم حتى يتمكنوا من إشباع حاجاتهم ومن أن ينموا نموا طبيعيا متكاملا ومتزنا.

وعلى المستوى المحلى فإن رعاية الطفولة تمثل برنامجا استثماريا تنمويا يستهدف إعداد الطاقات البشرية القادرة على تنمية المجتمع والنهوض به، وانعدامها قد يهدد أمن المجتمع وسلامته، حيث يرتبط الانحراف نحو العنف والتخريب بعدم إشباع الحاجات الأساسية للأطفال[٣]، وآثار ذلك تظهر على المدى البعيد على الطفل وبالتالى تنعكس على

١- ثناء يوسف العاصى، "الجمعية الدولية لقرى الأطفال دراسة وصفية وميدانية فى قرى الأطفال بجمهورية مصر العربية"، مجلة كلية التربية، جامعة المنوفية، السنة الثانية، العدد الثانى، ١٩٨٧، ص ٣١٨.

٢- عبد السلام بشير الدويبى، مرجع سابق، ص ٨٢.

٣- إبراهيم عباس الزهيرى، " دراسة ميدانية للمتطلبات التربوية اللازمة للتنشئة الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة " المؤتمر السنوي السادس للطفل المصري تنشئة في ظل نظام عالمي جديد ١٠- ١٣ إبريل ١٩٩٣، ص ٥٨٢.

المجتمع، حيث يقع هؤلاء المحرومين فريسة سهلة لبعض الجماعات الانحرافية التى يسهل احتواء الغاضبين والكارهين منهم واستخدامهم فى تحقيق مآرب مضادة للمجتمع، مما يشكل عبئا ثقيلا يثقل كاهل المجتمع ويزيد فى نفقاته. ويجنى المجتمع ذلك نتيجة الإهمال فى رعاية الأطفال التى لا تكون مكلفة بالقدر التى هى عليه فى حالة ضياعهم وانحرافهم فالوقاية خير من العلاج بل هى أقل تكلفة وأضمن تأثيراً.

- خبرات ما قبل الزواج (التاريخ الاجتماعى للزوجين):

يلعب التاريخ الاجتماعى للزوجين دورا هاما فى تحديد السلوك الذى يتخذه الواحد منهما إزاء الطرف الآخر، نظرا لأن كلا منهما يحمل معه خبراته النفسية الأولى التى اكتسبها من أبويه واخوته فى مرحلة الطفولة أو المراهقة، فالشخص الذى يمر فى طفولته بخبرات سارة، توفر له الأمن والحب، يمكنه النجاح فى إقامة علاقات زوجية سعيدة ويؤكد كثير من علماء النفس على أن الطفل المحروم من الحب أو المهمل أو التعس سوف يصبح أبا قاسيا أو زوجا سيئا أو شريكا غير موفق.

فالأفراد الذين ينمون فى ظروف انفعالية سليمة تتأثر شخصياتهم بهذه الظروف فيشبون ولديهم توازن انفعالى سليم، أصحاء نفسيا ولديهم القدرة على ضبط انفعالاتهم ويكونون أشد تمسكا بأسرهم وبالحياة فيها [1]. أما الذين يعيشون فى جو أسرى مضطرب يسوده المنازعات المستمرة ويشيع فيه عدم احترام حقوق الآخرين ويعيش فيه الفرد تحت ضغط نفسى مستمر، تتشكل شخصياتهم بهذه الظروف وينتج عن ذلك شخصيات قلقة مكتئبة، مضطربة انفعاليا، عاجزة عن ضبط انفعالاتها والتحكم فيها.

١- إبراهيم على إبراهيم، "أثر التفكك الأسرى فى اكتئاب الأبناء دراسة امبريقية - كلينيكية" ،دراسات تربوية، العدد الرابع، المجلد الثانى، أبريل، ١٩٨٩، ص١٥٧.

- ممارسة العنف ضد الزوجة:

ومن أسباب عدم التوافق الزواجى أيضا سوء المعاملة بين الزوجين، والذى قد يرجع إلى ممارسة العنف ضد الزوجة، وهو يشتد ضراوة كلما اتجهنا إلى اسفل السلم الاجتماعى حيث الفقر والجهل، فقد أوضحت دراسة [1] حول العنف ضد المرأة أن ٩٢٪ من أفراد العينة أعطوا الحق للزوج فى معاقبة الزوجة، والتى تتنوع ما بين إساءة لفظية إلى إساءة بدنية تبعا للمستوى التعليمى، حيث وجد أن أصحاب المستويات التعليمية المرتفعة من الأزواج أيدوا العنف اللفظى، فى حين تبنى أصحاب المستويات الدنيا العنف البدنى.

وفى معظم الحالات، نجد هؤلاء الزوجات غير قادرات على الاحتجاج أو ترك المنزل لأنهن معتمدات اقتصاديا على أزواجهن، أو لأنهن لا يجدن من يلجأن إليه، أو لأن أسرهن سوف يفرضن عليهن العودة إلى منزل الزوجية فى حالة تركهن له، بالإضافة إلى صعوبة مفارقة أطفالهن، وحرصهن على العلاقات الأسرية، وغالبا ما تخفى الزوجة هذا الأمر مدارة لكرامتها.

وعلى النقيض من هؤلاء النساء المستسلمات، نجد بعض النساء اللائى يمارسن الجريمة كرد فعل للعنف الذى وقع عليهن، فتقوم بضرب الزوج، أو تحاول قتله أو تقتله أو تنتحر، أو تحاول الانتحار يأساً من تغيير أوضاعها، ففى دراسة مع قاتلات الأزواج [2] وجد أنهن لم يتمتعن بأى قسط من التعليم أو ذات قسط ضئيل جداً منه، وأنهن ينتمين إلى الشرائح الدنيا من الطبقة العاملة، مع أزواج كانوا يعملون بشكل موسمى متقطع يضطرهم للبقاء فى المنزل دون عمل، واستغلال الزوجة عن طريق دخلها من عملها أو ميراثها، وغالبيتهن يقطن الحضر فى مناطق شعبية فقيرة أو عشوائية، وقد عانين من

١- ناهد رمزى وعادل سلطان، العنف ضد المرأة: رؤى النخبة والجمهور العام، مشروع الدعم الفنى والمؤسسى للمنظمات غير الحكومية لتنفيذ وثيقة بيكين - محور العنف ضد المرأة، (القاهرة: الجمعية الوطنية للتنمية البشرية والبيئية، ١٩٩٩)، ص ص ١-١٠٢.

٢- ليلى عبد الوهاب، العنف الأسرى: الجريمة والعنف ضد المرأة، (بيروت: دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٤).

تراكم العنف والقهر، سواء من الأوضاع التى عشنها، أو من الزوج، أو من الاثنين معاً، وقد تعرضن لممارسات عنيفة من قبل الأزواج، على شكل السب المستمر، والضرب المبرح المتكرر، والطرد من المنزل، والتهديد بالقتل.

- صغر سن الزوجة:

يعد صغر سن الزوجة فى كثير من الحالات سبباً من أسباب الخلافات الزوجية حيث تقبل كثير من الأسر فى المناطق الريفية والعشوائية على تزويج الفتيات دون السن القانونى، وذلك بحجة صيانة البنات، وخوفا عليهن من العنوسة، أو للتخلص من عبء إعالتهن، وفى تلك الحالة تكون غير مؤهلة جسميا وطبيا ونفسيا لتحمل أعباء الزواج والإنجاب، ومسئوليات خدمة الزوج ورعاية الأطفال وإنجاز الأعمال المنزلية، مما يؤدى لعجزها عن القيام بها وبالتالى ظهور المشكلات الزوجية.

بالإضافة إلى أن هذا العجز يعرضها للضغوط النفسية، نتيجة لشعورها بالإحباط والقلق نتيجة لعدم قدرتها على القيام بأعبائها، وعدم إشباع احتياجاتها العاطفية، خاصة عندما يكون الزوج أكبر من الزوجة بعشرات السنين، فقد تبين من الدراسات [1] أن الفارق الكبير فى السن بين الفتيات اللواتى تزوجن مبكراً وبين أزواجهن يؤدى إلى عدم الانسجام منذ البداية بين طرفى الزواج من حيث السن والاحتياجات النفسية والاجتماعية والجسمية، ويجعل هذه الزيجات تفشل وتنتهى بالطلاق فى كثير من الحالات، فقد تبين أن نسبة المطلقات بين سن ١٢-١٨ سنة بلغت ٤٩٪ من حالات الطلاق فى عينة الدراسة.

- تدخل الأصدقاء والجيران:

قد يلعب الأصدقاء والجيران دورا خطيرا فى مجرى الأمور العائلية، ويؤدى تدخلهم فى العلاقات الأسرية إلى نشأة حالة التوتر وزيادة شدتها [2]. ويتوقف ذلك التدخل على

١- إقبال أمير السمالوطى، "دراسة تحليلية لظاهرة الزواج المبكر بالتطبيق على بعض قرى محافظة الجيزة" القاهرة، (وزارة الشئون الاجتماعية: الإدارة العامة لشئون المرأة، بالتعاون مع منظمة اليونسيف، ٢٠٠٠).
٢- عبير سمير عبد الرازق،مرجع سابق، ص ص١٤٦، ١٤٧.

المنزل من حيث انعزاله المكانى أو اقترابه من البيوت والأسر الأخرى، فكلما زاد تكدس المساكن وصغر حجمها، كلما زاد تدخل الجيران وانعدمت الخصوصية.

وتظهر المشكلة بقوة فى السكن الذى يتجمع فيه أكثر من أسرة فى مكان واحد، لا يفصل بينهما سوى باب أو ستار كما هو الحال بالنسبة لسكان العشش وسكان الأسطح وسكان المقابر، وغيرهم من السكان شديدى الفقر. فقرب مكان الأسرة يجعلها مشاع للجميع، الكل يشارك حياة الكل، والكل يتدخل ويتحكم فى حياة الكل، وفى النهاية تكون الأسرة الضحية التى تقع فى بحر المشاكل نتيجة الفقر الذى حكم عليها بتواجدها فى مثل هذه البيئة المتدنية.

ب- تفاعل الوالدين مع أطفالهما:

تعد شخصية الطفل إلى حد كبير ناتجاً للعلاقة التى عاشها مع والديه فى طفولته وتشتمل هذه العلاقة بين الطفل ووالديه على نوعين من المتغيرات: خبرات التفاعل بينه وبين والديه، وأساليب التربية الوالدية، وإن كانت هذه الأساليب أو الممارسات ذات تأثير على شخصية الطفل ونموه، إلا أن نوع التفاعل بين الطفل ووالديه تعد أهم بكثير من نوع الأسلوب الذى يستخدم فى تربية الطفل، فقد تستخدم اثنتان من الأمهات نفس طرق العناية بالطفل ومع ذلك تختلف النتائج المترتبة على استخدام هذه الطرق، وليس ذلك لأن الأطفال مختلفون فحسب، بل ربما لاختلاف مشاعر هاتين الوالدتين إزاء الأطفال.

فيؤكد بعض الباحثين على ضرورة تفاعل الوالدين مع أطفالهما أثناء نموهم الاجتماعى، وأن تخلف أى من الأب أو الأم عن هذا التفاعل تحت أى ظروف طارئة أو مستديمة يشكل عاملاً سلبيا خطيرا فى الاستقرار والنمو الشخصى والاجتماعى للأطفال[1].

١- سيد أحمد عبده عجاج، مرجع سابق،ص ٩٦.

ويرتبط دور الأب بدور الأم بدرجة كبيرة، فيتفاعلان سويا، ويكملان بعضهما بعضا فى معظم مهام الحياة الأسرية [1]، فيؤثران من حيث يدريان أو لا يدريان فى تدعيم أوتعديل وتبديل سلوك الأبناء، وينقلان سويا أبرز جوانب الثقافة، ويحافظان سويا على الكيان الأسرى، فيتوافق أفرادها، وتستقيم الأمور داخلها.

وهكذا يتضح اهتمام علماء النفس على فترة الطفولة وما فيها من خبرات التفاعل بينه وبين أبويه، لما لهذه الفترة وما فيها من خبرات من أثر كبير على شخصية الطفل بصفة عامة وصفاته العقلية وقدراته الابتكارية بصفة خاصة. ومما لا شك فيه أن هناك اختلافات بين شخصية الأبناء وطبيعة الحياة والعلاقات الأسرية داخل الأسرة التى تعيش بأحد الأبوين عن تلك التى تجمع الأبوين سويا ويتعاونان فيها كليهما.

فخبرات الطفولة المؤلمة التى تحرم الطفل من إقامة علاقة حب آمنة وثابتة، وإدراك الطفل للإهمال واللامبالاة من الوالدين، بالإضافة إلى التوقعات اللاواقعية من الآباء للأبناء، تؤدى إلى شعور الفرد بالعجز عن إقامة علاقة انفعالية أو الاستمرار فيها [2] وتجعل الفرد يشعر بعدم القيمة وعدم الكفاية والتهديد كما يزداد تأثره بالأزمات وشعوره بالعجز عن مواجهتها، مما يؤدى إلى الاكتئاب، واضطرابات الشخصية.

ب-١ علاقة الأم بأبنائها:

ظهرت فى السنوات الأخيرة الكثير من الدراسات والبحوث التى ترتبط بتنشئة الطفل وعلاقته بأمه خلال مراحل نموه المختلفة وأثر هذه العلاقة فى نموه النفسى والاجتماعى، ذلك لأن الدور الذى تقوم به الأم فى حياة الطفل دور حيوى لا يمكن تجاهله أو إنكاره، وعلى مدى فاعلياته وإيجابياته يتحدد الكثير من اتجاهات الطفل إزاء الحياة

١- جوزيت جورج عبد الله، "أثر تغيب الأب فى مرحلة الطفولة المبكرة على النمو العقلى والنفسى للطفل"، رسالة دكتوراه، كلية الأداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨، ص ١٧٨.

٢- أمانى عبد المجيد حسن عتلم،" الكشف عن بعض جوانب الشخصية (المعرفية واللامعرفية) لدى عينة من الأطفال الذين يعانون من سوء المعاملة فى مرحلة ما قبل المدرسة"، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد ٥٠ سبتمبر ٢٠٠٢، ص٣٨٠.

فأول أسس الصحة النفسية هى أن يكون للصغير علاقة دافئة حميمة ومستقرة مع الأم، وهذه العلاقة قائمة على الرعاية والحساسية والتجاوب لحاجات الطفل ومنحه الحب والأمن والتفاهم، كما تؤدى إلى شعوره بالكفاية والثقة والقدرة على المواجهة والتحدى، مما يجعل الطفل أكثر صحة نفسية [١]. فالطفل الذى يحرم من أن يحب ويحب فى باكورة حياته نتيجة لعزله بعيداً عن أمه يتأخر نموه البدنى واللغوى والعقلى والاجتماعى وتصاب شخصيته بضرر بالغ[٢].

بل إن اتجاه الأم نحو طفلها يؤثر فى علاقاتهما سويا، فقبول الأم له يمكنها من القيام بأمومتها بصورة صحيحة، أما رفضها للطفل أو عدم الرغبة فيه نتيجة لخلافات أسرية، أو عدم رضا الأم عن حياتها الزوجية أو عدم نضجها، يؤدى لإعاقة هذا الدور وبالتالى إعاقة النمو النفسى للطفل، وعرقلة تكيفه [٣].

فالضغوط النفسية على الأم تنعكس على سلوك الأطفال فى صورة بعض الاضطرابات الانفعالية واضطراب النوم والانسحاب وظهور السلوك العدوانى والتوافق النفسى المضطرب، حيث وجد أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الضغوط النفسية للأم والضغوط النفسية للأطفال [٤].

وأشارت الدراسات التى اهتمت بالتعرف على اتجاهات الأمهات نحو أطفالهن وانعكاسها على النواحى المختلفة لأطفالهن، إلى أن قصور الأم مع الطفل فى بعض السلوكيات مثل الفطام، والطعام والحمام، لها تأثير خطير على النمو السلوكى للطفل وعلى توافقه حيث تؤدى إلى حدوث الاضطرابات النفسية لديه[٥].

١- المرجع السابق، ص٣٨٠

٢- زيدان عبد الباقى، الأسرة والطفولة، سلسلة الثقافة الاجتماعية والدينية للشباب، مرجع سابق، ص ١٥٧-١٥٩

٣- انتصار يونس، السلوك الإنسانى، ط٢، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩١)، ص ٦٥.

4- Ajdukovic, M. and Ajdukovic, D., 1993: Psychological Well- Being of Reg. Fugue Children. The international Journal.V. 17, No.6, Nov -Dec. 1993, pp. 843-854.

٥- سيد أحمد عبده عجاج، مرجع سابق، ص ٩٧.

وقد وجد أن هناك معاملات ارتباط دالة بين السلوك العدوانى للأمهات وسلوكيات الأبناء العدوانية، وأن هذه العلاقة مرهونة بنوع التفاعل بين الأم وأبنائها كما تتوقف على إدراكات كل منهما لسلوكيات الطرف الأخر[١]. وكلما اتسمت العلاقة بينهما بالتكامل كلما انعكس ذلك انعكاسا مباشرا على دافعيتهم للإنجاز والأداء الأكاديمى [٢]. فالطفل يتفاعل مع أمه فى مواقف منظمة فإذا كان التفاعل بينهما يشبع حاجات الطفل جاءت شخصيته سليمة، وإذا كان التفاعل بينهما ينقصه الحنان تفككت شخصيه الطفل [٣].

ومثلما للأم دورها فى التكيف النفسى للطفل، لها مثل ذلك تماما فى التوافق الاجتماعى، حيث توفر له الوسط الاجتماعى السوى الذى يتيح له مجالات وخبرات متنوعة غاية فى الأهمية لحياته حيث يصل إلى النمو الاجتماعى المتكامل لشخصيته فيتعلم منها القدرة على تكوين العلاقات الاجتماعية، وكل ما يساعده على التكيف مع الغير، ويتعلم طريقة الحديث مع الغير، وأسس المجاملة والآداب العامة وغير ذلك من ضروريات الارتقاء الاجتماعى [٤].

كما تنمى الأم المسئولية الاجتماعية للأطفال عن طريق الاستثارة الاجتماعية، وذلك عن طريق الملاطفة والتقبيل والعناق والابتسام والإمساك بهم، فالأمهات اللاتى يكن مستجيبات جسمياً وانفعالياً لوليدهن يشجعن المبادأة الاجتماعية وينشطن استكشاف الرضيع لبيئته [٥]. وفى ذلك تشير الدراسات إلى أن ميل الأطفال إلى الاعتماد المفرط على

١- فاروق السعيد جبريل وفؤاد الموافى،" العدوانية والتسلطية لدى الأمهات وعلاقتها بعدوانية الأبناء وبعض المتغيرات الديموجرافية للأمهات"، مجلة كلية التربية، المنصورة، العدد٧،ج ٢، ١٩٨٥، ص ص ١٨١-٢٢٠.

2- Bell, D.C. and Bell,L.G.,1983:Maternal validation and support in the development of adolescent daughters. In H. D. Grotenant and C.R. Cooper (eds.), Adolescent development in the family, New directions for child development, San Francisco, pp.27-42.

٣- محمد سعيد فرج، البناء الاجتماعى والشخصية، (الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠)، ص ٤٧.

٤- زيدان عبد الباقى، الأسرة والطفولة، سلسلة الثقافة الاجتماعية والدينية للشباب، مرجع سابق، ص ص ١٥٧-١٥٩.

٥- فؤاد البهى السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، مرجع سابق، ص ١٧٧.

الآخرين وضعف قدرتهم على الاستقلالية يكون ذلك نتيجة لعلاقة مضطربة مع الأهل وخصوصاً مع الأم [١].

فالأم هى أولى وسائل تمييز عناصر البيئة من أفراد وأشياء، وتساعد الطفل على الاستجابة لها والانسجام والألفة معها، وتدربه على الانتباه والملاحظة والتعامل مع المؤثرات البيئية، وتأتى بنتائج مؤثرة فى هذا الشأن لأن سلوك الطفل تجاه أمه يتسم بالتعزيز والتكرار[٢]، ومن خلال العلاقة الخاصة بينهما يصبح سلوكها منبها له فيحاول دائما تعديل سلوكه ليتجنب غضب أمه، وحرصا على أن تدوم العلاقة العاطفية بينهما.

وهذا ما تؤكده نتائج بعض البحوث والدراسات فى هذا المجال، فقد أوضح أريكسون أن أساس ثقة الصغير بنفسه وبالعالم تنبع من نموه فى سنى حياته الأولى وتتوقف إلى حد كبير على نوع علاقته بأمه فى هذه المرحلة المبكرة من نموه[٣].

واستخلاصا مما سبق يبرز الدور الحيوى الذى تلعبه الأم، فهى مصدر خبرات الطفل الأولى التى عليها يتحدد علاقته بباقى أفراد أسرته وعلاقاته الاجتماعية خارج نطاق الأسرة، وليس هذا فحسب بل ما يحدثه الأب وباقى اخوته عليه من أدوار وتفاعلات تؤثر فى شخصيته فان الموجه الأساسى والمحدد لها هو شخصية الأم.

ب-٢ علاقة الأب بأبنائه:

يبدأ الدور التربوى للأب فى مرحلة لاحقة لدور الأم، حيث يتقارب الطفل فى بداية الأمر مع أمه حتى يكاد يتوحد معها، ثم يسيطر الأب بعد ذلك، ويصبح النموذج الأول فى التنشئة ويصل هذا التأثير لذروته فى مرحلة المراهقة [٤] ، حيث يعتبر القدوة الحية للذكور

١- فايز قنطار، الأمومة ـ نمو العلاقة بين الطفل والأم، سلسلة كتب عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر ١٩٩٢)، ص ١٨١.

٢- فيليب فيرنون، الذكاء بين الوراثة والبيئة، ترجمة فاروق عبد الفتاح،(القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٨٨) ص ١٦٢.

٣- مديحة محمد سيد إبراهيم، مرجع سابق، ص١٣٠.

٤- على عبد الرازق جلبى، دراسات فى المجتمع والثقافة والشخصية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢) ص ٢٤٦.

من الأبناء، وممثلا عن جنس الرجال للبنات، وصورة لما ينبغى أن يكون عليه الرجل مع أسرته وزوجته[١].

وللأب دوره الأكيد فى الاستقرار الأسرى، حيث ينفرد بدور قيادى فى المسئوليات التى تتعلق بحفظ كيان الأسرة، وحل مشكلاتها، وإرساء قواعد العلاقات الأسرية، أو ما يتعلق بتوفير ضمان ومصادر ثابتة للدخل، فتلك مسئوليات أكبر وأكثر تشعبا من أن تتحملها الأم بمفردها [٢].

ويبرز دوره الهام فى مسئوليته عن تشكيل هوية أطفاله، وتهذيب دوافعهم، وتنمية السلوك الفردى والجماعى لهم، وبالتالى تدعيم الاستقلالية لديهم، وتنمية ثقة الأطفال بأنفسهم، وتنمية المهارات الاجتماعية ومهارات الاتصال لديهم، بالإضافة إلى تنمية الإحساس بالمسئولية لديهم، وهو مسئول عن تحقيق توافقات الطفل مع بيئته، وبالتالى فإن الأب مطالب باستمرار بتقديم الدعم الاجتماعى لأطفاله، لأن دوره السلبى يمثل ضغوطا اجتماعية إضافية على الطفل [٣]. وبالتالى فإن غياب الأب سواء لانفصاله عن الأم أو بالوفاة أو لاضطراره للعمل لساعات طويلة بعيدا عن الأسرة التى تعانى من الفاقة الاقتصادية يؤثر بصورة سلبية على نمو أطفاله.

كما أن الوجود المادى للأب ليس ضمانا كافيا لأبوة مناسبة أو مشبعة إذا لم يصاحبه حضور سيكولوجي يمنح الطفل الشعور بالأمن الداخلى [٤] ، وبما يمثله من سلطة ضابطة والمثل الأعلى، وكلما كانت علاقة الأب بأبنائه قوية متينة تتصف بالعطف والحنان والحب كلما شب الأطفال فى صحة نفسية جيدة. أما إذا ساءت تلك العلاقة وشعر الطفل بكراهية الأب له، فسيشعر بالعديد من المشاعر السلبية كالكراهية لأبيه

١- جوزيت جورج عبد الله، مرجع سابق، ص ٣٧.
٢- إحسان البقلى و درية أمين، التخطيط فى الاقتصاد المنزلى، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٨٥)، ص ١٠٥.
٣- صلاح الدين عبد القادر،مرجع سابق، ص ص ٢٠، ٢١.
٤- المرجع السابق، ص ١٧.

وتسوء حالته النفسية وتهتز شخصيته وعندئذ تنعكس تلك الأعراض على الأسرة وتسبب لها الاضطراب وقد تهددها بالانهيار، وقد تكبت ويعبرون عنها فيما بعد عندما يكبرون ويصبحون قادرين على الانتقام وعندئذ يوجهون انتقامهم إلى المجتمع فنرى المنحرفين والخارجين على القانون [١].

ب-٣ أساليب التربية الوالدية:

تلعب طريقة تربية الطفل وخاصة فى سنواته الأولى دوراً هاماً فى التأثير على تكوينه النفسى والاجتماعى، فإن كانت هذه الطريقة أو أسلوب التربية يقوم على إثارة مشاعر الخوف وانعدام الأمن فى نفوس الأطفال الصغار فى مواقف متعددة ومتكررة ترتب على ذلك تعرضهم للاضطراب النفسى والتأخر فى نواحى النمو المختلفة الذى يؤثر دون شك على صحتهم النفسية ومستقبل حياتهم [٢].

أما إذا تربى الطفل فى عامه الأول والثانى تربية حسنة وتمت تغذيته، نمى فى نفسه الشعور بالثقة والآمان والتفاؤل، حيث يحدث فى تلك الفترة أكثر مظاهر التعليم والتدريب وضوحاً وضبطاً، وتبدأ مرحلة تعلم المبادأة فى مقابل الشعور بالذنب من سن ثلاث سنوات ونصف تقريبا [٣]، وفى انتهائها يتعلم الطفل الذى ينمو صحياً أن يتخيل ويوسع مهاراته من خلال أنواع اللعب المختلفة ويتعلم التعاون مع الغير، أما إذا أعاقه الشعور بالذنب فإنه يصبح خائفاً ويقف دائماً على هامش الجماعات ويستمر فى الاعتماد على الكبار بدون حاجة فعلية إلى ذلك ويعاق نموه فى مهارات اللعب.

١- محمد سلامة محمد غبارى، مرجع سابق، ص٥٨.
٢- مصطفى فهمى و محمد على القطان، علم النفس الاجتماعى، دراسات نظرية وتطبيقات عملية، ط٢، (القاهرة مكتبة الخانجى، ١٩٧٧)، ص ١١٣.
٣- عبد الرحمن العيسوى، مرجع سابق، ص ص ١٩٧-١٩٩.

وتؤكد بعض الدراسات على أن نمط التربية الأسرية المحافظة والمتسلطة هو النمط السائد فى مصر[١].وفيه تختلف الأسر فى أساليب الضبط الاجتماعى وكمه، فقد تعتدل أو تفرط فى العقاب والإثابة، والتطرف فى ذلك يؤدى لنتائج غير مرغوبة، فالتشدد والعقاب الدائم لا ينفر الطفل من السلوك غير المرغوب فقط، ولكن ينفره أيضا ممن وجه إليه العقاب [٢].

كما أن الوالدين الذين يستخدمون العقاب الجسدى كوسيلة أساسية فى عملية التنشئة الاجتماعية يقدمون للطفل نموذجا ليقلده فى الحياة [٣]. فيزداد السلوك العدوانى الغير سوى عند الأبناء [٤]، فللتقليد أثره المباشر والرئيسى فى السلوك العدوانى وهو وسيلة من وسائل التعلم عن طريق الملاحظة التى تسبق التقليد [٥].

كما يذهب العسف والقهر نشاط الطفل ويحمل على الكذب والخبث والمكر والخديعة وبذلك تفسد معانى الإنسانية وتبعد النفس عن الفضائل والخلق الجميل[٦]. ويؤدى إلى تكون نمط من علاقات الكبت لشخصية الطفل ويترتب عليه إذعانه وخوفه من السلطة وكل من له نفوذ أقوى أو مكانة أعلى من مكانته، ولا يتوقف ذلك على مجرد الإذعان بل قد ينقلب أحياناً إلى تمرد وسخط سلبى مكبوت [٧].

لذا نجد أمهات الطبقة الدنيا لا يحرزن تقدما ملحوظا فى ضبط الأبناء لأنهن يلجأن دائما للعقاب البدنى الذى يشكل عدوانا يقابل عدوان الأبناء، أما الأم فى الطبقات

١- هدى قناوى، "الديمقراطية وأنماط التنشئة فى المجتمع المصرى"، الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس، الجزء الأول، المجلد التاسع، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٥، ص ١٣٠.
٢- محيى الدين أحمد حسين، التنشئة الاجتماعية والأبناء الصغار، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧)، ص ٥٥
٣- نبيل عبد الفتاح، نادر قاسم، مقياس عين شمس لإشكال السلوك العدوانى لدى الأطفال - دليل المقياس، (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣)، ص ٧-٨.
٤- أمانى عبد المجيد حسن عتلم، دراسة أثر بعض المتغيرات الأسرية على التوافق النفسى للأطفال، مرجع سابق ص ٤٧.
٥- فؤاد البهى السيد، علم النفس الاجتماعى، ط٢، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨١)، ص ١٧٤.
٦- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط٤، (بيروت - لبنان: دار القلم، ١٩٨١)، ص ٥٣٢.
٧- حامد عمار، من قضايا الأزمة التربوية - وجهة نظر، (القاهرة: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، ١٩٩٢) ص ص ٣٦، ٧٤.

الأخرى فهى أكثر اعتدالا، وتعاقب الأبناء بأسلوب معنوى يهدف إلى المحافظة على القيم والمعايير التى خرجوا عليها، لا لمجرد الخروج على طاعتها أو الخطأ فى شخصها [١].

كما لاحظت الدراسات أن بعض الأسر المصرية ترخى حبال التساهل والمحبة الزائدة للطفل الصغير إلى درجة عدم الاكتراث، ثم يفاجأ الطفل عند دخوله المدرسة بممارسة أسرته لعوامل الضبط والربط وفرض ما يجب وما لا يجب ويكون من نتيجته نمو بذور التذبذب ومفهوم السلوك غير المنضبط فى شخصيته [٢]، كما أن تساهل الأسرة مكروه أيضا لأنه يفقدها السيطرة على الأبناء، وتعجز عن تنميط سلوكهم حسب المتطلبات الاجتماعية [٣].

وقد وجدت الدراسات [٤]. أن التذبذب فى التعامل من شأنه أن يزيد من حدة الصراعات النفسية للأطفال حيث يعجز الطفل عن تحديد ما يسبب رضاء الآباء أو سخطهم، فالسلوك الواحد قد يثاب عليه حيناً، ويعاقب عليه حيناً آخر، مما قد يسبب انحرافات سلوكية واضحة فى حياة الطفل المستقبلية.

أما التدليل فإنه يفقد الفرد القدرة على مواجهة الحياة بطريقة سليمة ويصبح الإنسان اتكاليا يبحث عمن يتحمل عنه مسئوليات الحياة ويصبح عاجزاً عن الاستقلال فى معيشة أسرية [٥]، وكلا من التدليل والقسوة يعوقان تكيف الإنسان مع المجتمع ويهددان صحته النفسية، ويسببان الكثير من الاضطرابات الأسرية، والمشكلات الفردية التى تعوقه عن القيام بمهام الأسرة.

ويعتبر الإهمال والنبذ شكل من أشكال التفاعل السلبى داخل الأسرة والذى يؤدى إلى اضطراب شخصية الطفل وسوء توافقه، ومن مظاهر نبذ الطفل كراهيته، أو التنكر له

١- محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، كيف نربى أطفالنا، مرجع سابق ، ص ١٤٣.
٢- حامد عمار، من قضايا الأزمة التربوية - وجهة نظر، مرجع سابق، ص ص ٣٦، ٧٤
٣- محيى الدين أحمد حسين، " التنشئة الاجتماعية والأبناء الصغار"، مرجع سابق، ص ٥٥.
٤- محمد مصطفى زيدان و نبيل السمالوطى، علم النفس التربوى،ط٣،(جدة: دار الشروق،١٩٩٦)،ص ٢١.
٥- محمد سلامة محمد غبارى، مرجع سابق، ص ٥٤.

وإهماله أو مقاطعته وخصامه، أو الإسراف فى تهديده وعقابه والسخرية منه أو إيثار اخوته عليه، وعدم المبالاة بنظافته أو إشباع حاجاته الضرورية الفسيولوجية والنفسية وعدم إثابته ومدحه عندما ينجز عملا ما، أو السخرية منه فى حالة استحقاقه الثناء والمدح والتشجيع ، أو التركيز على نقائصه وإبرازها بصفة مستمرة.

فعندما نجاهد دوما فى إبراز المساوئ والأخطاء التى يرتكبها طفلنا عند كل خطوة يقوم بها، فإننا بهذا نركز الانتباه على نواقصه وعدم مقدرته على النجاح، ناسين أننا بهذا نكرس لديه الشعور بالفشل [1]، الذى لا يؤدى إلى توليد الانفعالات السلبية فى نفسه وإعاقة تطوره النفسى فحسب بل يعرقل عملية تكون الخبرات الدراسية المختلفة لديه، أى يعرقل نشاطه الدراسى بشكل عام.

وقد شهدت الأبحاث العلمية بأن جملة تأثيراتنا على الطفل التى ترتكز إلى تنمية شعور النجاح لديه، عن طريق المديح والابتسام والتشجيع تعطى ثمارا ونتائج باهرة، حيث يزرع الثقة فى نفسه ويثير فيها شعور الفخر والاعتزاز والبهجة، ويحفز فيه الرغبة فى توسيع معارفه وإغناء تجربته [2]. وعندما يكون الإنسان واثقا من قدراته يصبح من السهل عليه اجتياز الصعوبات التى تعترض سبيله مهما كبرت، وينعكس هذا بوضوح على نتائج التعلم. ولكن إذا وجد الطفل فى منزل يتخذ نحوه اتجاهات تتسم بالبرود أو اللامبالاة فمهما كانت الطبيعة الوراثية لهذا الطفل فإنها تتقهقر فى مثل هذه الحالة [3].

والطفل فى هذه السنوات يحتاج إلى شعور شامل بالأمن الحقيقى، فهو يحتاج إلى الحماية من مخاطر الحياة، كما يحتاج إلى العناية من الاضطراب العقلى والإثارة الزائدة

١- ى.إ. كولتشتيسكايا: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ط١، ترجمة: عبد المطلب أبو سيف، مراجعة: ماجد علاء الدين، (دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٧)، ص ٨٤.

٢- عبد الفتاح أحمد حجاج، "التربية فى مرحلة الطفولة المبكرة"، حولية كلية التربية، جامعة قطر، عدد ٤، ١٩٨٥ ص١١٠.

٣- كريمان بدير، الرعاية المتكاملة للأطفال الأنشطة الحركية- الأنشطة المعرفية-الأنشطة الفنية، ط١، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٤)، ص ص٢٢٧، ٢٢٨.

لذا يجب ألا نكلفه بأعمال فوق استطاعته، تؤدى به إلى الإخفاق فيشعر بالعجز والخيبة والضعف ويأس من مواصلة النشاط ويحجم عنه ويفقده ثقته فى قدراته، وأن نتجنب إشعاره بأنه طفل طالح، إذ أن الشعور بالذنب يدمر ثقته بنفسه ويجعله يشعر بأنه غير محبوب [١].

وكذلك فإن حاجته للأمن ترتبط بها حاجته إلى التقدير الاجتماعى، وذلك بأن يعامل ويعترف به ويتقبل كفرد له قيمته وأن جهوده ووجوده لازمان للآخرين، وتظهر هذه الحاجة فى رغبة الصغير فى القيام بخدمات بسيطة لغيره ممن حوله، وإحضار بعض الأشياء، أو تقديم الأشياء للضيوف والأقارب، والإسهام فى النشاطات المنزلية، وفى تكليفه أيضا ببعض الأعمال إشباعاً لحاجته إلى الاستقلال [٢].

وغالبا ما تبدأ التنشئة الاجتماعية للأبناء بصيغ ازدواجية فصامية متناقضة فتصنف السلوك إلى سلوك "بنت" وسلوك "ولد"، ولا تقبل من الفتاة ما يقبل أو يحبب من شقيقها الفتى، كما تعلى من مفهوم التدنى كصفة ملصقة بالفتاة، حين تستنكر على الفتى البكاء [٣].

وقد وجدت الدراسات أن هناك أصول ثقافية قديمة وراء الاتجاهات الوالدية نحو التفرقة فى معاملة الأبناء، حيث ينظر إلى الصبى على أنه سيحمل أسم الأب والعائلة وأن هذه الاتجاهات الوالدية نحو التفرقة تكون أقل تأثيراً كلما زادت ثقافة الأسرة وارتفع مستواها الاجتماعى والاقتصادى [٤].

١- فلورنس بودر ميكر، لويز جرايمز، مرشد الآباء والأمهات، ترجمة محمد محمد عبد القادر، عفاف فؤاد، مراجعة محمد كامل النحاس، سلسلة الألف كتاب (٨٥)، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٦)، ص ١٣٣.

٢- ممدوح عبد الرحيم الجعفرى،" التربية الأخلاقية في مؤسسات ما قبل المدرسة (دراسة تحليلية)، مرجع سابق ص ص٦٧-٧٠.

٣- عايدة سيف الدولة، مظاهر العنف ضد النساء، المرأة ومعوقات التنمية، (القاهرة: مركز وسائل الاتصال الملائمة من أجل التنمية، ١٩٩٦)، ص ٢٩.

٤- محمد مصطفى مياسا،الاتجاهات الوالدية في التنشئة وارتباطها بشخصية الأبناء فى المستويات الاجتماعية المختلفة، رسالة ماجستير،قسم علم النفس،كلية الآداب جامعة عين شمس،١٩٧٩، ص ص ١٧١-١٩٥.

وقد يبدأ التمييز بين الجنسين باكرا جدا، حتى فى مرحلة ما قبل ولادة الطفل، أثناء الاستعداد لاستقباله تبعا للجنس المتوقع للطفل المنتظر، حيث تعم الفرحة إذا كان المنتظر ذكراً، ويهتم بالأم الحامل صحياً وغذائياً، أما ولادة البنات فإنها تقلل من مكانة الأم، الأمر الذى يدفعها لتكرار الحمل محاولة لإنجاب الذكور، كما قد تتعرض للطلاق، أو لأن يتزوج زوجها من أخرى بحجة الرغبة فى ولادة الذكر. وبعد الولادة مباشرة يبدأ الأهل بالتعامل بشكل مختلف مع كل من البنت والصبى بحيث يعيش كل منهما خبرات حياتية مختلفة تؤدى إلى جعل استجابات كل منهما فى المواقف نفسها مغايرة تبعا لجنسه.

وقد بينت الدراسات أن كثيرا من الأمهات يحرصن على إرضاع الصبيان لفترات أطول من تلك التى تخصص للبنات [1]، وأن الطفلة الأنثى لا تتلقى العناية الصحية والغذائية اللازمة كأخيها، خاصة فى البيئات الفقيرة والريفية، فالطعام الفاخر يقدم للصبى أولا ثم تأكل البنات ما تبقى منه، وفى حالة المرض يحمل الصبى للطبيب ويترك أمر البنت للطب الشعبى أو تهمل نهائياً.

كما قد تخضع الفتاة منذ الطفولة لتربية صارمة [2] ، فقد تجبرها الأسرة على ترك اللعب، لمساعدة أمها فى أعمال المنزل، فى حين يحصل الصبى على وقت أكبر للعب ويسمح له أن ينطلق إلى خارج المنزل ليلعب فى عالم ملئ بالخبرات المتنوعة التى تنمى لديه الكثير من القدرات، كما يرفضون أن تكون البنت كثيرة الحركة، ومتمتعة بالحرية والاستقلالية، وتوجه لتكون سلبية متقبلة ضعيفة ويشجعونها لتكون هادئة ومطيعة ويؤنبونها على كثير من التصرفات التى يتسامحون فيها مع الصبى.

ومن جهة أخرى عندما تعاقب الأسرة صغارها، تميز فى ذلك بين الصبى والفتاة سواء من حيث سبب العقاب، أو من حيث جسامة العقاب وتكراره، فالصغيرة تلازم أمها

١- اليونسيف، القضاء على التمييز ضد الفتيات والنساء فى العالم العربى، عمان، اليونسيف، يوليو ١٩٩٥.
٢- رفيقة حمود، المرأة المصرية:مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل،(القاهرة:دار الأمين،١٩٩٧)، ص٣٠.

فى المنزل، فتفجر فيها كل إرهاقها وآلامها الدفينة بسبب مشاكلها الأسرية والخاصة [١] بخلاف الصبى الذى يكون خارج المنزل. فالأم لا تقسو على ابنها الذكر، سواء لإعجابها الدفين برجولته المبكرة، أو لأنها تخشى فراره إن هى قست عليه، فى حين تتوقع من الفتاة الطاعة والتفانى وإنكار الذات.

ويعتقد كثير من أولياء الأمور أن تعليم الذكور أهم من تعليم الإناث وأكثر استثمارا ولهذا فهم يعطونه أهمية خاصة، وإن تطلب ذلك بعض التضحيات المادية، فى حين يكتفون بإلحاق الإناث بالمدارس القريبة، ولا يشجعوهن على متابعة الدراسة بحجة أن مصيرهن فى النهاية فى المنزل.

كما يتسبب الكبار والوالدين فى إثارة شعور الغيرة فى نفوس الأطفال الصغار وذلك عندما يؤثرون طفلاً على آخر[٢] ، لذلك وجب على الآباء والمربين أن يساووا بين الأطفال فيما يوجهوه إليهم بحب ومودة حتى يساعدهم على تحويل مشاعر الغيرة إلى مشاعر أخرى أقل إيلاماً وأكثر نفعاً، وحتى يدرك أن مخاوفه من منافسيه ليست صحيحة، فإن ذلك الإدراك الجيد يقوى شخصيته ويساعده على مواجهة مواقف المنافسة فى حياته المقبلة فى البيت والمدرسة.

يتضح مما سبق أن كثيرا من ملامح شخصيات الأفراد البالغين تعتبر امتدادا للخبرات والتجارب التربوية التى تعرضوا لها فى المراحل الأولية للطفولة، فقد وجد أن الذكور[٣] . فى قبيلة "أرابش" ينشأون على الوداعة والمسالمة والتعاون والصداقة ونبذ السيطرة والعدوان والغرور نتيجة ما تمنحه الأم للطفل من رعاية ومودة وعطف واضح وإطالة مدة الرضاعة، وما يمنحه المحيطون بالطفل له من عناية بالغة، ونجد نموذجاً

١- أميرة بهى الدين، الطفلة الأنثى بين الحماية القانونية والاعتداءات الواقعية، ورقة مقدمة فى ورشة عمل نظمتها إدارة برامج المرأة فى اليونسيف حول "وضع الأنثى الطفلة"، (أ)، القاهرة، يوليو ١٩٩٤.
٢- فؤاد البهى السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، مرجع سابق، ص ص ٢١٥، ٢١٧.
٣- محمد مصطفى زيدان و نبيل السمالوطى، مرجع سابق، ص ص ١٦، ١٧.

مناقضاً لهذا تماماً بين أعضاء قبيلة "موندوجومر" المجاورة للقبيلة السابقة، حيث مضمون عملية التنشئة الاجتماعية فى تلك القبيلة تؤدى إلى تشكيل الشخصية العدوانية المرتابة دائماً التى تفقد الثقة بالنفس والآخرين.

وأكدت الكثير من الدراسات السيكولوجية والاجتماعية [١] . على أن الأطفال الجانحين كانوا أكثر عرضة لمواقف الإحباط والقسوة والحرمان فى مرحلة الطفولة من الأطفال الأسوياء، وأن معظم أساليب التنشئة التى تعرضوا لها فى مرحلة الطفولة كانت من النوع الخاطئ تربويا حيث لم يشعروا بالحب والأمان بل كان لديهم إحساس دائم بالإهمال والنبذ والعقاب الشديد إلى درجة القسوة، وأن علاقة الوالدين بالأطفال كانت تتسم بالسطحية والضعف.

وفى محاولة للتعرف على الأبعاد الاجتماعية والتربوية لظاهرة التطرف والعنف [٢] وجد أن أهم أسباب التطرف والعنف هى الأسباب التربوية، حيث غياب التوجيه والإرشاد من الوالدين نتيجة انشغالهم فى أعباء الحياة، وعدم توجيه الأباء لعلاقات الأبناء بجماعات الرفاق، وطبيعة التنشئة الاجتماعية والتربوية فى المدرسة من بين أعلى الأسباب موافقة، بينما جاءت الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى الرتبة الثانية، وتمثلت هذه فى ضعف الانتماء للوطن وضيق فرص الحياة أمام الأفراد، والأعباء الاقتصادية التى تثقل كاهل الوالدين فى العمل مما يؤثر على الرقابة والتوجيه الأسرى للأبناء.

فللأسلوب الذى تتبناه الأسرة فى تربية الأبناء أهمية كبيرة فى تشكيل شخصية الطفل فى حاضرها ومستقبلها، وتتمثل أهم هذه الأساليب فى:

١- محمد عباس، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

٢- سعيد طه محمود، سعيد محمود مرسى عطيه، "الأبعاد الاجتماعية والتربوية لظاهرة التطرف والعنف فى المجتمع المصرى (دراسة تحليلية نقدية)"،مجلة كلية التربية،الزقازيق، العدد ٣٨، مايو ٢٠٠١،ص ٣٢.

- تأكيد القوة: وبمقتضاه يتبنى الأباء أسلوب معاقبة الأطفال إما بدنيا أو لفظيا أو من خلال التعريض للحرمان المادى.
- عدم تقديم الحب للأبناء: وهو أسلوب ينطوى ضمنا أو صراحة على إحساس الطفل بالكراهية أو النبذ أو الإهمال.
- التذبذب فى معاملة الأبناء.
- التساهل والمحبة الزائدة والتدليل.
- الترشيد من خلال الإيضاح والتفسير: بمعنى أن يوضح الآباء ما يرغبونه فى سلوك أبنائهم ويتمثل ذلك فى التشجيع على السلوك الأخلاقى من وحى مبادئ الضمير لا خوفا من الروادع الخارجية، أى من خلال التوجيه الأخلاقى الذاتى وتحمل الفرد لمسئولية سلوكه[1]، مع إشعاره بحرارة العاطفة.

ويمكن القول إنه عندما تتغلب هذه الأساليب على الأسلوب الأخير، فإن مآل هذه التربية هو الفشل [2]، ففى ظل هذه الصيغة لا يعايش الطفل الإحباط فحسب، ولكن يفتقد القدرة على الاستقلال وتتولد لديه مشاعر الكراهية تجاه والديه وتحركه مشاعر الفردية حيث يأتى بأى سلوك دون مراعاة لشعور الآخرين، أما عندما يغلب على صيغة التنشئة أسلوب الترشيد والإيضاح فإننا نكون أمام أفضل صيغ التنشئة حيث يفضى هذا النوع من التنشئة إلى أعلى درجة من درجات الارتقاء الأخلاقى والنجاح فى العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة وتحقيق التوافق النفسى للأطفال.

فقد وجدت بومرنيد (١٩٦٧) [3]أن الأطفال الذين يتميزون أكثر من غيرهم بالاعتماد على النفس والضبط والاستقلالية، هم أولئك الذين يقوم آباؤهم بممارسة الضبط

١- محيى الدين أحمد حسين، مشكلات التفاعل الاجتماعى بين التجديد والمعالجة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢) ص١٧٢.
٢- المرجع السابق، ص١٧٣.
٣- محمد عماد الدين إسماعيل، الطفل من الحمل إلى الرشد ـ السنوات التكوينية (٠-٦)، مرجع سابق، ص ٤٥٣.

عليهم ويطلبون منهم أداء واجباتهم دون أن يغفلوا عن إشعارهم دائماً بحرارة العاطفة نحوهم وتقبلهم كما هم، ومتابعتهم وتشجيعهم باستمرار فى كل مرة ينجحون فيها فى أداء الواجبات المطلوبة منهم، وأطلقت بومرنيد على هذا باتجاه الحزم.

وخلاصة يمكن القول بأن أساليب التربية الخاطئة المؤدية إلى سوء توافق الطفل تتضح فى الحرمان من رعاية الأم، شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه أو منبوذ، إفراط الأبوين فى التسامح والصفح عن الأبناء، الإفراط فى رعاية الأطفال والاهتمام الزائد بهم صرامة الآباء وميلهم إلى الاستبداد بأبنائهم، وطموح الآباء الزائد، اتجاهات الوالدين المتضاربة، كما أنه من الأنماط التى يجب أن تتبعها الأسرة وأى مؤسسة تربوية لتحقيق التكيف الاجتماعى منهج الحب ذو التعزيز الإيجابى، وهو اتجاه سيكولوجى معروف يقوم على المكافآت غير المادية وأكثر فاعلية من الناحية الاجتماعية عن اتباع منهج الأشياء المادية.

- خصائص تشخيصية للأباء المسيئين والأبناء المساء إليهم:

أوضح نموذج الطب النفسى الخصائص الشخصية للأباء المسيئين من خلال دراسات إكلينيكية متعددة ووجد من تلك الخصائص:

- أن الأمهات المسيئات لديهن مستوى منخفض لقيمة الذات، لديهن انخفاض فى الإشباع العائلى، لديهن تاريخ مرضى طويل وحاجة إلى الدعم والمساندة، والأباء اندفاعيون، غير ناضجين، ذوى حساسية مفرطة، متمركزين حول ذواتهم، وأنهم كانوا غالبا مهملين وأسيئت معاملتهم فى طفولتهم [1]، ومن المحتمل أن السبب الأكثر أهمية وراء حدوث سلوك الإساءة من قبلهم نحو أطفالهم كان نتيجة لحرمانهم فى الطفولة من الإحساس بالأمومة والأبوة الحانية المشبعة.

١- أمانى عبد المجيد حسن عتلم، "الكشف عن بعض جوانب الشخصية (المعرفية واللامعرفية) لدى عينة من الأطفال الذين يعانون من سوء المعاملة فى مرحلة ما قبل المدرسة"، مرجع سابق، ص ص ٣٨٢، ٣٨٣.

- أن الآباء المسيئين لأطفالهم لم يتعلموا فى الطفولة نماذج السلوك العدوانى فقط، ولكن أيضا تعرضوا لخبرات السيطرة والإجرام، وترك الطفل خارج المنزل [١] ، وتبعا لذلك فإن هذه النماذج من السيطرة وخبرات السلوك العدوانى فى مرحلة الطفولة لابد وأن تؤدى إلى سلوك والدى يسئ فى مرحلة الأبوة.
- أشارت النتائج كذلك أن الوالدين الأكثر إهمالاً لأبنائهم وأكثر إساءة لهم هم عصابين [٢] بالإضافة إلى أنهم أكثر تعرضا للضغوط النفسية [٣] . فالتفكك الأسرى وزيادة عدد الأبناء وإدمان الوالدين كانت من الشروط الموضوعية التى يتزايد معها نسبة الإهمال والقسوة من الوالدين [٤] .
- وجد بارك وكولمر ١٩٧٥، أن الآباء المسيئون معزولين اجتماعيا، وغير راضين عن أنفسهم كما أن لديهم اتجاهات سلبية نحو الأطفال، كما وجد دليفوى ١٩٧٣ أنهم أيضا ذوى معرفة ضئيلة عن نمو الأطفال وخصائصهم، ووجد ستيل وبولاك ١٩٦٨ أن الآباء الذين يكرهون أنفسهم يكرهون أطفالهم أيضا [٥] ، و دائما تنتابهم مشاعر الذنب [٦] .

كما توجد بصفة عامة علامات مميزة للاضطرابات السلوكية الشديدة للأطفال المساء إليهم، نذكر منها:

1- Steel, BF. and Pollock, C.B., 1986. A Psychiatric study of parent who has abuse infants and small children. In Heller,K.E. and Kempe, C.H. (eds.), The Battered child, University of Chicago Press, Chicago, pp. 89-133.

٢- على عبد الواحد وافى، عوامل التربية-بحوث فى علم الاجتماع التربوى والأخلاقى، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٨)، ص ٧.

3-Phyllis, H., Words, J. and Gandian, J., 1990. Child Abuse and delinquency. The empirical and the critical Links. Social Work, v. 35, No. 3, pp. 244-249.

٤- عبد الوهاب محمد كامل، "سوء معاملة وإهمال الأطفال دراسة أيديومترية على عينة مصرية"، بحوث المؤتمر السنوى الرابع للطفل المصرى، وتحديات القرن العشرين، المجلد الثانى من ٢٧-٣٠/أبريل ١٩٩١، ص ١٠٣.

٥- عفاف أحمد عويس، التعامل مع الأطفال علم ..فن.. موهبة، ط١،(القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٩٩٤)، ص ٦٥.

6- Carole, B., 1990. Toward a treatment-Relevant Typo child abuse families, “child welfare league of American”. LXIX, No. 4, July-August, p. 63.

- الاضطراب البالغ والدائم فى نظام الأعصبة الحيوية، اضطرابات الكلام، الانحرافات الاجتماعية، التذبذب الواضح فى الأحاسيس، الاضطرابات المتصلة بالتحصيل والتعلم مما يسبب حدوث تأخر دراسى أو فشل دراسى [١] .
- تشمل الانحرافات السلوكية الناتجة عن الاضطراب الانفعالى السرقة، التمرد والعناد الرغبة فى التدمير والتخريب، الميل للاعتداء والتشاجر، نوبات الغضب والغيرة، الهروب من المدرسة والتغيب باستمرار، عدم التكيف الشخصى والاجتماعى، الانحرافات الجنسية، انحرافات تتصل بعملية الإخراج كالتبول اللاإرادى، انحرافات تتصل بعملية التغذية كصعوبات الأكل وفقدان الشهية، وانحرافات تتصل بالنوم كاضطرابات النوم ومخاوف الأطفال [٢] .
- تبين الدراسات أن الطفل الذى لديه مخاوف كثيرة وقلق متواصل، يتعرض للاضطراب النفسى والتأخر فى نواحى النمو المختلفة الأمر الذى يؤثر دون شك على صحته النفسية ومستقبل حياته [٣] ، فالطفل الكثير الخوف ليس طفلا متزنا، وينعكس القلق الذى يولده الخوف فى صورة أنماط سلوك غير مرغوب، وعندما يصبح هذا السلوك المنحرف ظاهرة يومية يتعايش معها الطفل فى بيئته، وفى المدرسة أو فى المناطق السكنية، فإنه يكون معرضا للانحراف، أو للوقوع ضحية هذا السلوك [٤] .
- الطفل المساء إليه قد يصل به الأمر إلى حدوث إصابات فى المخ، حدوث نوبات صرعية عيوب جسدية، ضعف القدرات الحركية الكبرى واضطرابات وظيفية إدراكية، نقص القابلية للاستمتاع بالحياة، الانسحاب، زيادة الترقب، السلوك القهرى، السلوك الناضج

١- محمد عبد المؤمن حسين، مرجع سابق، ص٩٤.
٢- المرجع السابق، ص٩٣.
٣- مصطفى فهمى، محمد على القطان، مرجع سابق، ص ١١٣.
٤- عزة كريم وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢٥.

الخادع [١] . كما يعانى هؤلاء الأطفال من الشعور بالإهمال من جانب الأم واستغلالها لهم [٢] .

- من الأمراض التى تحدث نتيجة للفشل فى عملية التنشئة الاجتماعية الذهان العقلى الجنسية المثلية، بعض أنواع الضعف العقلى [٣] ، والعصابية [٤] .
- إن السلطة والتبعية والقمع التى تسود الأسرة، لا تتيح للطفل سوى مجال ضيق لتحقيق استقلاله الذاتى واعتماده على نفسه [٥] ، ويؤدى ذلك الإفراط فى الاتكال عند الطفل إلى شعوره بالعجز عن اتخاذ قراراته بنفسه ومن ثم استعداد مبكر للإذعان للسلطة وفقدان الثقة فى نفسه وفى آرائه الخاصة، مع قبول آراء الآخرين دون تردد أو تساؤل. وهو ما يجعل الطفل إنسانا كتوما يظهر خلاف ما يبطن ويقول خلاف ما يعتقد، ويفعل خلاف ما يقول، ومن ثم تتكون لديه عادات المسايرة والمجاملة، تلك التى تمثل عقبة أمام حسم المشكلات إذ يتعذر معها تسوية الخلافات عندما تلتقى الأطراف وجها لوجه، وبالتالى تستمر العدوانية المكبوتة.
- أساليب الإهانة والتحقير التى يتعرض لها الطفل تشعره بعدم القيمة والإحباط مما يشكل تهديد للذات ومن ثم يزداد السلوك العدوانى [٦] ، وحتى لو كف عن سلوكه العدوانى تجاه أقرانه داخل المنزل خوفا من العقاب، فإن النتيجة المحتملة هى أن

١- أمانى عبد المجيد حسن عتلم، "الكشف عن بعض جوانب الشخصية (المعرفية واللامعرفية) لدى عينة من الأطفال الذين يعانون من سوء المعاملة فى مرحلة ما قبل المدرسة"، مرجع سابق، ص٣٩٠.

2-Mccloskay, L.A., 1995: The effects of systematic family violence on children's mental health. Children Development, v. 66, No. 5, oct. 1995, pp. 1239-1261.

٣- عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية النمو ـ دراسة فى نمو الطفل والمراهق، مرجع سابق، ص ١٩٣.

٤- على عبد الواحد وافى، مرجع سابق، ص ٧.

٥- هشام شرابى، مقدمات لدراسة المجتمع العربى،(بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٧)، ص ص ٢٧-٦٣.

6-Phyllis, H., Words, J. and Gandian, J., 1990. op. cit., pp. 244-249.

تزداد عدوانيته خارج المنزل [١] . بينما أساليب القبول والاستحسان تساعد على خفض هذا التهديد وبالتالى ينخفض إنتاج السلوكيات العدوانية [٢] .

- بالإيذاء البدنى واللفظى والتخويف يجد الخوف تربة صالحة فينمو موجهاً سلوك الطفل، ولذا كثيراً ما يلجأ الطفل إلى الكذب والمراوغة وممارسة الحيل أو الذرائع الخادعة لتفادى العقاب. وغالبا ما يكون الطفل المنبوذ مغرما لاسترعاء الأنظار إليه متلهفا إلى العطف، يستجديه بطرق منفردة تجعل الناس تضيق ذرعا به [٣] . وقد أشار باكام (*Bakam, 1994*) إلى أن الطفل الذى تساء معاملته ويهمل يصبح قبيح المظهر والسلوك، فيدعو ذلك إلى مزيد من الإساءة إليه وإهماله [٤] . مما يهيئ شخصية الطفل لحدوث الإدمان والمشكلات النفسية والسلوكية والمدرسية وخاصة لو تزايدت عليه الضغوط [٥] .
- الطفل الذى يتعرض للإهمال أو الصد والعقاب ولا يلقى تشجيعاً، يكون على الأرجح صورة سلبية عن نفسه، فالطفل الذى يحس بالرضا عن نفسه لرضاء الآخرين عنه لا شك أنه أسعد وأكثر إنتاجاً ودافعية للإنجاز من الطفل الذى تعكس تصرفات الآخرين نحوه صورة سلبية عنه[٦] . هذا النمط من الشخصية المساء إليها تتكيف بسرعة مع الموقف وتؤثر الخضوع والوداعة، وتجنح نحو التسلط والشدة، وتنزع إلى القدرية فى التفكير

1-Banndura, A., 1977. Influence of model's reinforcement count on the acquisition of imitative responses. J. Personality and Social Psychology, 1, 589-595.

2-Austin, D.R., 1974: The effect of insult and approval on aggressive behavior. Diss. Abst. Inter., v. 34, No. 11, pp. 7324-7325.

٣- ممدوح عبد الرحيم الجعفرى، مرجع سابق، ص ٦٦،٦٧.

٤- أمانى عبد المجيد حسن عتلم، الكشف عن بعض جوانب الشخصية (المعرفية واللامعرفية) لدى عينة من الأطفال الذين يعانون من سوء المعاملة فى مرحلة ما قبل المدرسة، مرجع سابق، ص٣٨٧.

5-Dembo, R., Schmeidler, J., Borden, P. and Manning, D., 1998. Predictors of recidivism, to Juvenile Assessment Center: A three Year study. Journal of child an Adolescent substance abuse, v. 7, No. 3, pp. 57-77.

٦- هدى محمود الناشف، استراتيجيات التعلم والتعليم فى الطفولة المبكرة، مرجع سابق، ص ٥٣.

والسلوك، وتأخذ بأقصر الطرق للوصول إلى الهدف، وتلقى المسئولية على الغير[١] ، وتميل إلى الانعزال عن المجتمع [٢] ، فهى شخصيات ضعيفة مريضة لا تقوى على تحمل المسئوليات ولا تشارك فى الحياة مشاركة إيجابية بل تكون حاجتها إلى العلاج النفسى والاجتماعى أكثر من حاجتها إلى الإسهام فى الحياة أو تحمل الأعباء والمسئوليات [٣]

- أشارت النتائج إلى أن خبرات الإساءة الطفلية تجعله عصبياً وحساساً لأتفه الأسباب وثائراً على السلطة [٤] . كما تجعل من الحياة مصدرا للألم والعذاب، وترسب فى نفس الطفل الشك بالآخرين ومشاعر العدوانية والحزن والحسد [٥] ، وتبث فيه الرغبة فى الانتقام والحقد [٦] ، والبغض والكراهية التى يحولها فيما بعد للآخرين، ويخلق لنفسه الكثير من المشكلات وقد يكون سببا فى تفكك أسرة أو انهيارها [٧] . فحدث الإساءة لا ينسى من قبل الطفل بل يظل حيا فى ذاكرته [٨] ، ويجعله دائم الرفض للكبار[٩] . وأكد ذلك نتائج بعض البحوث حيث تبين أن الشعور بالقلق من الحرمان ومن فقدان الحب أكثر شيوعا فى قصص الجانحين [١٠] ، ونزلاء مستشفيات الأمراض العقلية، بل كان النبذ من نصيبهم خلال مراحل حداثتهم [١١]

١- حامد عمار، فى بناء البشر، دراسات فى التغير الحضارى والفكر التربوى، (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦٨) ص ص ٨٩-٩٩.
٢- محمد مصطفى مياسا، مرجع سابق، ص ص ١٧١-١٩٥.
٣- إقبال عبد المنعم الأمير السمالوطى، "دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية للطفل بين الواقع وما ينبغى أن يكون" مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالقاهرة، العدد ٢، يناير ١٩٩١، ص ص ١٢٤ ١٢٥.
٤- سيد أحمد عجاج، مرجع سابق، ص ٩٨.
٥- محمد مصطفى مياسا، مرجع سابق، ص ص ١٧١-١٩٥.
٦- ممدوح عبد الرحيم الجعفرى، مرجع سابق، ص ص ٦٦،٦٧.
٧- محمد سلامة محمد غبارى، مرجع سابق، ص ٥٤.
8-Brock, R.C. and Buss, A.H., 1999. “Effects of Justification for aggregation and communication with the Victim on Post aggression dissonance. Journal of Bnoranl and Social Psychology, 68, pp. 403-412.
9-Carole, B., 1990. op. cit., p. 63.
١٠- مديحة محمد سيد إبراهيم، مرجع سابق، ص١٣٠.
١١- صلاح عبد المتعال، تقرير حول عدالة الأحداث قبل وبعد بداية الجناح، المؤتمر العربى التاسع للدفاع الاجتماعى، القاهرة ٣-٦ يوليو ١٩٧٨.

- وأثر الإهمال كالقسوة تماما حيث وجد أن عدم اهتمام الوالدين بالأطفال وإهمالهم لهم قد يدفعهم إلى الارتباط القوى بجماعات الرفاق أو الأقران، فإذا كانت معايير هذه الجماعات تسمح بسلوكيات غير أخلاقية يكون من المتوقع اندماج أى طفل فى هذه الجماعات فى ممارسة هذه السلوكيات أو التفكير فيها[1].

والخلاصة أن الطفل فى حاجة إلى أن يكون مقبولا مرضيا عنه ممن حوله، يعترفون به ويبادلونه الرغبة فى الحب وفى التفاعل والتواصل الإنسانى، وهذا لا يتوافر إلا إذا عاش فى جو عائلى مترابط متماسك يتوفر فيه الوالدان فيملأن نفسه بالثقة، التى تكون معينه الأكبر على تكوين العلاقات الاجتماعية السوية.

كما تبين أيضاً أن التنشئة الاجتماعية ليست بالعملية اليسيرة، بل إنها عملية مركبة تراكمية معقدة ومتشابكة العناصر ومتداخلة التأثير. وبالرغم من أن مؤسسات عديدة فى المجتمع تشارك فيها إلا أن دور الأسرة فى عملية التنشئة لا يضاهيه أو ينوب عنه بديل آخر، حيث إن للأسرة دورا هاما فى تربية الأبناء وينعكس دورها على استقرار المجتمع وتقدمه، ويقتضى ذلك الاهتمام بالأسرة ومعاونتها للاضطلاع بمهامها.

فدور الأسرة التربوى يتوقف على ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وأسر الطبقات الدنيا نجدها أكثر تسامحا وليس لديها ما تعطيه، فيكثر فيها الإهمال واللامبالاة. وهذا التساهل واللامبالاة لم يؤثر على طموحات وتوقعات الأبناء فقط بل يصل مداه إلى ذروته فيؤدى إلى تغير قيم المجتمع، فتبدد نظام الأسر الممتدة وساد التشتت والعزلة والفرقة وانعدم مبدأ الإخاء والمودة وأصاب الكثير منها التزعزع والاضطراب. وتلك الأسر المضطربة تعد بيئة خصبة للنمو السيئ، ومن خبث فلا ينبت إلا خبثاً،فهى تكون بمثابة مرتع خصب للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والاجتماعية.

1- Wright, D. and Cox, E., 1987. Religious belief and coeducation in a sample of sixth form boys and girls, British Journal of Social and Clinical Psychology, v. 6, pp. 23-31.

ج- حجم الأسرة:

مازالت الأسرة فى علاقاتها بمتغيرات شخصية الأبناء تحتل مركز الصدارة فى الأبحاث التربوية حيث تتنوع بؤرة الاهتمام من دراسة العلاقة الثنائية بين الطفل والأم ومحصلات هذه العلاقة، وبين دور الأشقاء وحجم الأسرة والفاصل الزمنى بين الأبناء على الفروق الفردية فى متغيرات شخصية الأبناء.

ولقد دل العديد من الدراسات [1] على أن الأسر كبيرة الحجم ترتبط بالفقر، فقد وجد أنه مع ارتفاع المستوى الاجتماعى والاقتصادى وارتفاع مستوى التعليم، فإن حجم الأسرة يكون صغيراً، فمعظم المعارضين لتنظيم الأسرة هم من ذوى الأسر كبيرة الحجم ومن مواليد الريف وشبه الحضر، كما أن أصحاب المهن العليا والمتوسطة يشكلون فى أغلبهم الأسر ذات الخصوبة المنخفضة. وفى ذلك ينصح علماء الاجتماع والتربية بأن يكون انجاب الأطفال على فترات محددة ومتساوية لا تقل عن ثلاث سنوات فى كل مرة حتى يستطيع الأطفال أن يكتسبوا الكثير من سلوك بعضهم البعض أكثر مما يكتسبون من الكبار.

وتبدو هنا أهمية حجم الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية، فقد أوجدت الدراسات الكثير من الاختلافات الهامة بين الأسر كبيرة الحجم والأسر صغيرة الحجم، يمكن ذكر بعضها كما يأتى [2] :

- فى الأسرة الكبيرة لم تكن سلطة الأب مباشرة، فهو يعلن رغباته وتنقلها الأم إلى الأطفال، ثم ينقلها أكبر الأطفال عمرا لتنفيذها على صغار الأطفال، أما الأسرة الصغيرة فكانت الأم تنفذ توجيهات الأب إلا أنها فى معظم الأحيان كانت هى التى تنفذ وتطبق السلطة.

١- محمود الضمرانى، مرجع سابق، ص ص ٣٥٢-٣٥٣.
٢- محمد لبيب النجيحى، مرجع سابق، ص ١٣٩.

- تسود العقوبات البدنية أو التهديد فى الأسرة الكبيرة، ويتعود الأطفال فيها على تحمل المسئولية والالتزام الخلقى حيث توزيع المسئوليات والأعمال بطريقة أوضح، أما الأسرة الصغيرة فقد أعفى أطفالها من هذه الأعمال للتفرغ لدراستهم والنشاطات الخارجية الاجتماعية.
- تعانى الأسر الكبيرة من ضائقات اقتصادية.
- يتسم التفاعل اللفظى بين أفراد الأسرة كبيرة الحجم بالفوضى حيث ينزع أفرادها للحديث دفعة واحدة بحيث يضيع المعنى أو ينعدم، ويشيع بين أفرادها عدم الانسجام وكثرة الشقاق[١]، ويزداد السلوك العدوانى لدى أطفالها بالمدرسة الابتدائية [٢]، وتقل حدة الانبساطية لديهم.
- يتعرض الطفل فى الأسر كبيرة العدد لبعض الإحباطات لعدم تحقيق رغباته، وذلك لتعارضها مع رغبات اخوته [٣].
- يزداد أشكال التفاعل السلبى بين الأم والأطفال فى الأسرة كبيرة الحجم، ويتضاءل فيها الاتصال المباشر بين أى من الوالدين وكل طفل على حده، مما يؤدى إلى ظهور نمط من أنماط الحرمان من الأب، فالحرمان كما يقول باوبى *Bowiby, 1965* [٤] قد يحدث وإن كان الطفل يعيش فى كنف والديه، وهذا يعنى أن زيادة عدد الأبناء فى الأسرة قد تقلل من نصيب كل طفل فيها من الرعاية الوالدية، وتقلل من تركيزهم على أفعال وتصرفات أبنائهم، بل قد تنعدم الرقابة الوالدية، وكذلك يزداد إدراك الأبناء للرفض من قبل

١- السيد ابراهيم السمادونى، "التوقعات الوالدية نحو تربية الطفل فى سن ما قبل المدرسة وعلاقتها ببعض المتغيرات الأسرية"، دراسات تربوية، المجلد ٦، الجزء ٣٥، ١٩٩١، ص ٢٢٨.

٢- نبيل عبد الفتاح حافظ، نادر فتحى قاسم، "برنامج إرشادى مقترح لخفض السلوك العدوانى لدى الأطفال فى ضوء بعض المتغيرات"، مجلة الإرشاد النفسى، جامعة عين شمس، العدد ١، ١٩٩٣، ص ص ١٤٣-١٧٧.

٣- يسرية أنور صادق، "العلاقة بين حجم الأسرة وبعض نواحى شخصية الطفل"، رسالة ماجستير، قسم علم النفس كلية البنات جامعة عين شمس ١٩٧٩.

٤- السيد إبراهيم السمادونى، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

الوالدين بازدياد عدد الأطفال، كما يؤثر فى نوع العلاقة وأشكال التفاعل بين الزوج والزوجة [١].

- من النواحى العقلية والمعرفية فقد أوضحت بعض الدراسات [٢] أن زيادة عدد الأطفال تؤثر على كل من الأداء المعرفى والانفعالى والاجتماعى للأطفال، فهم أقل ذكاء لفظيا وأقل فى تحصيلهم القرائى، وتنخفض درجات التحصيل مع تصاعد الترتيب الميلادى وخاصة بزيادة عدد الصغار المتقاربين فى درجة النضج العقلى [٣]. فالطلاب من ذوى الترتيب الميلادى الأول يحصلون على درجات مرتفعة من الفهم اللفظى والقدرة اللفظية بينما يظهر الأفراد ذو الترتيب الميلادى الثانى تفضيلات نحو النشاطات الاجتماعية فكلما تأخر ترتيب الطفل الميلادى قل ذكاؤه. ويرجع ذلك إلى أن الأطفال الأوائل فى الترتيب يلقون من العناية والرعاية مالا يتاح للأطفال المتأخرين فى الترتيب، فالذكاء يحتاج إلى الرعاية والاهتمام شأنه فى ذلك شأن النمو فى الطول والوزن، ولذلك فقد اتضحت منطقية العلاقة العكسية بين الترتيب والذكاء. فالأباء يميلون أن يكونوا أكثر ميلا لممارسة الضغط من أجل الإنجاز بالنسبة لأطفالهم ذوى الترتيب الميلادى الأول ويتحولون إلى مصدرين للأوامر ويقل فى نفس الوقت اتصالهم بأطفالهم، عندما ينجبون أطفالا أكثر.

وهذا يعنى أن أباء الأسر صغيرة الحجم يكون لديهم فرصة أكبر للتفاعل والاتصال الحميم مع أطفالهم، وبالتالى تتفوق فى توقعاتها نحو تربية الطفل متمثلة فى تشجيعهم على الإبداع واللعب وأيضا الضبط [٤].

١- أمانى عبد المجيد حسن عتلم، "دراسة أثر بعض المتغيرات الأسرية على التوافق النفسى للأطفال"، مرجع سابق ص ٢٣.
٢- المرجع السابق، ص ص ٢٤-٢٨.
٣- يسرية أنور صادق، مرجع سابق.
٤- السيد إبراهيم السمادونى، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

- من النواحى الصحية فإن احتمالات زيادة المرض بما فى ذلك سوء التغذية والإشباع الأقل وزيادة معدلات الوفيات وزيادة أمراض الوالدين لها صلة وثيقة بكبر حجم الأسرة.

د- تأثر دور الأسرة بالبيئة الخارجية وجماعة الرفاق :

يقصد بالبيئة الخارجية هى كل العوامل المؤثرة على كيان الأسرة من خارجها مثل الأقارب والأصدقاء والجيران والعمل وأصدقاء العمل والمدرسة ومستوى الجيرة التى تعيش فيه الأسرة، ووسائل الأعلام المختلفة [١] ، وكلها عوامل تؤثر بدرجة كبيرة على أفراد الأسرة وقد تؤدى إلى تفكك الأسرة وانهيارها.

وقد يكون هناك بعض الأقارب ذوى النفوذ القوى على بعض أفراد الأسرة فيخضعون لتأثيرهم وينفذون توجيهاتهم ويكون فيها إضرار كبير بهم، ومثال ذلك تأثير أم الزوجة أو أحد أقاربها أو تأثير أم الزوج أو أحد أقاربه عليه، ويسمع كثيرا عن أسر تصدعت وتفككت نتيجة لتلك العوامل المؤثرة [٢] .

ومن مشكلات البيئة الخارجية التى يعانى منها أطفال مناطق الهامشية الحضرية فقد تتمثل فى المشكلات المدرسية مثل سوء معاملة المدرسين وتدنى نظرتهم لهم، وتميز أبناء المناطق الأخرى عليهم، مما يترتب عليه كراهية الدراسة بصفة عامة أو كراهية بعض المواد بصفة خاصة، وقد يؤدى ذلك إلى التأخر الدراسى أو التسرب.

وتتمثل البيئة الخارجية أيضاً فى وجود بعض المشكلات الناتجة من تأثير وسائل الأعلام وخاصة الفيديو والتلفزيون، فقد طغى دورهما المؤثر بما يتبع من أساليب جذب وتشويق على دور كل من البيت والمدرسة، فما تغرسه الأسرة من قيم إيجابية خلال سنوات يمكن أن ينتهى خلال يوم واحد من الجلوس أمام تلك الأجهزة، علاوة على دخولها إلى عالم تربية الطفل قبل أن يبدأ الدور المدرسى. وبعض ما تقدمه تلك الوسائل يكون له

١- محمد سلامة محمد غبارى، مرجع سابق، ص ٦٤.
٢- المرجع السابق، ص ٦٤.

بالغ الأثر فيما تغرسه فى نفوس ساكنى تلك المناطق وأطفالهم حيث تبرز السلبيات وتخفى الإيجابيات لتلك المجتمعات وتصورها دائماً بأنها مناطق للجريمة والانحراف.

وتعد جماعات الرفاق من أهم التأثيرات التربوية غير[1] النظامية، فكثيرا ما تملك إمكانات التأثير فى تشكيل الشخصية ولا سيما فى مرحلتى الطفولة والمراهقة فالخصائص التى تتميز بها هذه الجماعات فى تكوينها وتوجهاتها وقيامها على الصداقات التلقائية، والاختيار الحر، والشعور بالمساواة، وطول الوقت الذى يقضيه معهم داخل أو خارج المدرسة، وإشباعها لميوله ورغباته، بالإضافة إلى الاستمتاع بوقت الفراغ بعيدا عن سيطرة الكبار وضوابطهم، تجعلها وسطا جذابا ومثيرا للأطفال وخاصة تلاميذ التعليم الأساسى.

وتزداد أهمية الرفاق فى مرحلة المراهقة عنها فى المراحل الأخرى وخاصة الطفولة لأن المراهق لا يستطيع التخلى عن رفاقه وأصدقائه الذين يضع فيهم ثقته التامة ويفضى إليهم بأسراره وهو مطمئن لفهمهم لما يقول، لأنه يعتقد أن الكبار لا يفهمونه الفهم الكافى الأمر الذى يؤثر فى سلوكه واتجاهاته تأثيراً كبيرا [2].

فتلعب جماعة الرفاق دورا هاما فى نمو شخصية الطفل وتربيته، إذ توفر المجال الاجتماعى الذى يكتسب منه بعض الاتجاهات والمهارات والمعارف وأساليب التعامل مع الآخرين، فهناك مجموعة من القيم التربوية تظهر نتيجة للمشاركة فى مثل هذه الجماعات حيث يتعلم الأطفال كيفية التعاون مع غيرهم من الأطفال، تتيح الفرصة للجميع فى مجال القيادة أو التبعية، تنمو من خلالها مختلف الاتجاهات الاجتماعية، وقيم الجماعة والقدرة على تجاوز المصالح الذاتية للفرد من أجل الوصول للصالح العام، والوعى بالاختلافات القائمة فى الاتجاهات والقيم والسلوك الموجودة لدى جماعات الأطفال

١- سلامة الخميسى، "تلوث البيئة التربوية لتلميذ التعليم الأساسى رؤية نقدية وتصور وقائى"، مرجع سابق، ص ص ١٠١، ١٠٢.

٢- عبد الله الرشدان، ، علم اجتماع ،ط١ ، (عمان ، دار الشروق، ١٩٩٩)، ص ٨٦.

والتى يتعلم من خلالها تعديل بعض سلوكياته وعاداته وميوله. كما تفيد فى تعليم مفردات الكلمات التى تستخدمها الجماعة، وفى إتاحة الفرصة فى مجال المعارضة داخل الجماعة حيث يتنافسون من أجل المركز، ومن ثم يتمكنون من اكتشاف دورهم، وعادة ما يحاولون أن يحسنوا من هذا الدور، وتتيح لهم الفرص من أجل التنمية فى المجالات الجسمية والعاطفية والعقلية. ويتعلم من خلاله تعديل بعض السلوكيات، والعادات والميول.

ورغم هذه التأثيرات الإيجابية التى تنشأ عن انتماء الطفل إلى إحدى هذه الجماعات وتفاعله معها، فإن هذه الجماعات كثيرا ما تسهم فى تلويث البيئة التربوية لأعضائها أو بعضهم، إذا سيطرت عليها توجهات سلبية أو مناهضة لتوجهات الوسائط التربوية النظامية كالأسرة والمدرسة، وقد تلعب الأسرة دورا هاما فى هذا، إذ تعطى الفرصة لجماعة الرفاق لتصبح قوة ذات جاذبية خاصة فى حالة ضعف سلطتها، أو حينما لا توفر للطفل قواعد قيمية ثابتة لدورها، ففى هذه الحالة تنشط جماعة الرفاق، وتهيمن على نوعية التنشئة الاجتماعية التى يتلقاها الناشئ الصغير.

ويدعونا ذلك إلى أن نشير إلى ضرورة انتباه الأسرة وإدراكها لأهمية جماعة الرفاق وتشارك صغارها فى اختيارهم، وكذلك العمل على إيجاد السبل التى تساعدهم على شغل وقت فراغهم. وهنا تبدو الأهمية نحو إبراز أهمية اللعب نفسيا وتربويا، فهو ضرورى وهام لنواحى الشخصية المختلفة، كما يعلم النشء بعض القيم والمستويات الخلقية والاجتماعية التى تربط جماعات اللعب، بل إنه عن طريق الألعاب المختلفة قد يكشف الفرد عن نفسه وعن إمكانياته واستعداداته فيعرف ما فيها من قوة أو ضعف فيعمل على توجيهها أو تثبيتها، فلا غبار عليه إذا توافرت به شروطه التى من أهمها أن يكون تربويا ومتيحا للتعلم ويعمل على تشكيل الشخصية الإيجابية لمن يلعب.

ولكن فى ظل الظروف المجتمعية الراهنة، وندرة وجود النوادى فى كثير من المناطق وتدنى خدماتها إن وجدت، والواقع المدرسى المتدهور الذى أدى إلى شغل وقت فراغ الطفل

فى التنقل بين جنبات الدروس الخصوصية، ومناخ الأسرة المصرية بما تعانيه من ضغوط اقتصادية وضيق المساكن، أدت إلى الزج بالأولاد للعب فى الشارع، وخصائص الشارع لا يمكن توفير لعب مرب بها، بل إنه فى ظل الظروف الاقتصادية لبعض الأسر قد يسطو الوالدان على وقت فراغ طفلهم ويدفعانه للعمل مساهمة منه فى تخفيف العبء الاقتصادى عنهما.

وهذا يحتم ضرورة النهوض بالمؤسسات المختلفة التى تحاول أن تجتذب إليها هذه الجماعات فى أوقات الفراغ المختلفة وعلى رأسها النوادى، حيث يمارس الأطفال ألوانا مختلفة من النشاط الرياضى أو الاجتماعى أو الثقافى أو الفنى المنظم والهادف، ويتحقق كل هذا وسط مناخ يتوافر به حرية التحرك والتوجيه والرقابة المطلوبة.

ثانياً: المستوى الاجتماعى للأسرة:

وللطبقة الاجتماعية التى تنتمى إليها أسرة الفرد أثرها التربوى من حيث تشكيل اتجاهاته ونظرته إلى الأمور والأحداث والعلاقات الاجتماعية. وقد يكون للأسرة الأثر الكبير فى نقل الاتجاهات الطبقية إلى الأطفال، ومن ثم تتميز اتجاهاتهم الانفعالية والعقلية وتتشكل معانيهم المختلفة الخاصة بمعنى التعاون والتنافس والوظائف والعلاقات الاجتماعية والآمال والآلام، بل قد تؤثر الأسرة على الطفل بكل هذه الاتجاهات قبل أن ينطلق إلى الدوائر الثقافية الأخرى. فمن الأسرة يكتسب اتجاهاته المختلفة اتجاهه نحو العمل اتجاهه نحو الوطن اتجاهه نحو الحياة نفسها ومنها يكتسب نظرته للأمور والحكم عليها.

ومن المهام التربوية التى تنفرد بها الأسرة إضفاء المكانة الاجتماعية على الأبناء وهذه المكانة من الأهمية بالنسبة للفرد لأنها تصاحبه طوال حياته، حتى وإن حدث له حراك أفقى أو رأسى، فدائما ما يدور فى فلك طبقته، ولا يخرج عن نطاقها، وعادة ما

يتزوج منها، ويرتبط مصيره بمصيرها [١] . بل إن اكتساب مكانة اجتماعية أعلى، أو الحراك الصاعد يتوقف بقدر كبير على الأسرة التى تهيئ للأبناء فرص التعليم، والتربية الصحيحة والتى تمكنهم من كسر قيود الطبقات [٢]. فهى تلعب دورا هاما فى تحديد وضع الإنسان فى البناء الطبقى، وقد تتفوق فى أحيان كثيرة على المكاسب الشخصية للفرد [٣].

ويرى فلود [٤] بأن تباين الأوضاع الطبقية فى المجتمع يترتب عليه اختلاف فى فرص الحياة المادية وظروف العمل وتقدير لأصحاب المكانة الاجتماعية، التى تختلف تبعا لاختلاف الطبقات والمجتمعات، فبينما يتحدد المركز الاجتماعى للفرد فى المجتمعات البدائية والبسيطة على أساس السن والجنس، نجد الأمر مختلفا عنه فى المجتمعات الحديثة والحضرية، حيث تلعب عوامل الأسرة وحظها من الثراء والتعليم والمكانة والنشاط الاقتصادى، والعمل، والتوافق النفسى، والذكاء، والاستعدادات، والقدوة والقدرات، والمثابرة وغيرها دورا هاما فى بنية الدور الاجتماعى للفرد.

وقد برزت جهود الكثيرين من علماء النفس والتربية فى جمع أطراف نتائج البحوث والدراسات حول نمو الطفل وتعلمه والعوامل المسهمة فى خفض كفاءته، والتى من بينها الحرمان من الأم والدخل المنخفض وسوء التغذية والتحيز الاجتماعى. وقد دل بعضها [٥] على أن ظروف العائل الذى يعمل بالأعمال الهامشية ويتعرض لعدم احترامه، وتدنى دخله وتعرضه للفصل والتشرد والبطالة والظروف الصعبة، لا تؤثر على توجهاته ومواقفه من أمور الحياة فحسب، وإنما تؤثر أيضا على توقعاته لنفسه وأولاده، وهذا بدوره يؤثر تأثيراً سلبياً على إنجازات الأبناء ويقلل من فرص نجاحهم. وأن الأطفال الذين يفتقرون إلى

١- أندريه جوسان، مرجع سابق، ص ١٥.
٢- سعيد إسماعيل على، زينب حسن حسن، دراسات فى اجتماعيات التربية، ط ٣، (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٢)، ص ١٣٩.
٣- بوتومور، الطبقات فى المجتمع الحديث، ط٢، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون، (القاهرة: دار الكتاب، ١٩٧٩) ص ٦٥.
٤- محمد عباس، مرجع سابق، ص ٣٠٠.
٥- شاهيناز محمد عبد الله، مرجع سابق، ص ص ٩١٧-٩١٨.

أصدقاء نتيجة تواجدهم فى مناطق خالية من الأنداد أو وجودهم فى مناطق تكثر فيها ضغوط الحياة ويعملون كصبيان فى ورش، يصعب عليهم مستقبلا تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين [١] ، ومن ثم الاتصاف بالسلبية وارتفاع الخجل والانخفاض فى تقدير الذات، حيث يتأثر مفهوم الذات [٢] لدى الفرد بمدى استجابات التقدير التى يلقاها من والديه والتى تمثل رأى الوالدين عنه، ومن خلال هذه الاستجابات تتكون فكرته عن ذاته.

ولقد كان من نتيجة ذلك إعادة النظر فى نظريات النمو، فسادت فكرة الدور المؤثرة للبيئة فى النمو، وكذا انتشرت نظرة التفاعل المتبادل بين الأطفال وبيئاتهم الطبيعية والبشرية وتأثيرهم فيها وتأثرهم بها. ولقد نجم عن هذا اتجاهات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعلمية تنمى الوعى بأهمية وخطورة التربية فى هذه المرحلة على الصعيدين الاجتماعى والسياسى بوجه خاص، وأضحى الاهتمام بالطفل وتربيته فى سن ما قبل لمدرسة أمراً طبيعياً.

فجاءت الجهود الأولى لتربية طفل ما قبل المدرسة تسعى نحو تحقيق نوع من الحراك الاجتماعى للأطفال الذين ينتمون إلى فئات اجتماعية أدنى، وتشير بعض الكتابات [٣] فى هذا الموضوع إلى أن الكثيرين يرون أن برامج تربية طفل ما قبل المدرسة وأساليبها التربوية يمكن أن تفضى إلى كسر دائرة الفقر.

ولقد نادى بستالوتزى كمفكر تربوى ومعلم، بوجوب إتاحة الفرصة لتربية فقراء الأطفال فى السن المبكرة فى المدارس. وبدأت ماريا مونتسورى برنامجها التربوى للأطفال فى الأحياء الفقيرة بهدف مساعدتهم على أن يكونوا مواطنين مستقلين [٤] .

١- شاهيناز محمد عبد الله، مرجع سابق، ص ٩١٨.
٢- محمد المرشدى المرسى، "البناء النفسى لأبناء المدمنين"، مجلة كلية التربية (التربية وعلم النفس)، جامعة عين شمس، كلية التربية، العدد ١٦، الجزء الثانى، ١٩٩٢م ، ص ١٣٤.
٣- عبد الفتاح أحمد حجاج، مرجع سابق، ص ١٠٦.
٤- المرجع السابق، ص ١٠٦.

ثالثاً: المستوى الثقافى للأسرة:

للثقافة عمومياتها التى يتصف بها المجتمع الكلى، وخصوصياتها التى تتباين من مجتمع محلى لأخر، فالطفل ينشأ اجتماعيا فى ثقافة ثانوية معينه بتفاعل معها وينمو لديه شعور بالانتماء والولاء لها، يجعل من السهل عليه أن يتكيف مع أفرادها، ومن هذا المنطلق نجد أن طفل العشوائيات لديه سمات وأنماط سلوكية وتربوية تتوافق مع بيئته التى تتصف بالتدنى والحرمان وعدم الرعاية. وهذا لا يعنى أنه يقضى حياته كلها حبيس تلك الثقافة الثانوية، وإنما بالنضج أو حراك مستوى الأسرة ينتقل الطفل من الثقافة الثانوية إلى الثقافة العامة التى يعيشها المجتمع، وربما يأتى هذا الانتقال مبكراً أو متأخراً وقد لا يأتى مطلقا بسبب المعيشة فى بيئات منعزلة أو غير متجانسة تتمسك بالواقع و لا تهدف إلى الحراك.

ولما كانت الثقافة هى أسلوب الحياة التى يعيشها الفرد فى المجتمع، فإن القيم هى أعلى مستويات الثقافة لأنها تعتبر الضوابط الاجتماعية لهذه الثقافة والتى يرضاها المجتمع لنفسه[1]، وهى المسئولة عن تكوين المثل العليا عند الانسان، وتعتبر الذات العليا للعناصر الثقافية الموجودة فى المجتمع. وتعتبر الأسرة أهم محور فى نقل الثقافة فتنقل إلى الطفل ألوانا عديدة من قيمها الطبقية -سواء عن وعى أو غير وعى- عن طريق التنشئة الاجتماعية، ومن ثم تصبح تلك القيم جزءا جوهريا من الشخصية.

وقد أشارت بعض الدراسات [2] إلى أن تحديد الطفل وإدراكه للمواقف المختلفة وللقواعد التى ينبغى عليه التصرف فى ضوئها يتم بواسطة الأسرة التى ينتمى إليها الطفل وأن شخصية الطفل تتأثر بالسياق الثقافى والاجتماعى للأسرة، وأن تفكير الطفل وسلوكه

١- محمد سلامة محمد غبارى، مرجع سابق، ص٦٣.

٢- السيد على شتا، محمد صالح قاسم، النمو الاجتماعى لشخصية الطفل، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، مركز البحوث التربوية، ١٩٨٦)، ص ١٣.

ما هو إلا نتاج لثقافة الأسرة وأساليب معايشتها له. ويرى البعض [١] أن رؤية الطفل لنفسه تتأثر بنوع الثقافة التى تعطى له بواسطة أسرته، وأن الطفل يتعرف على نفسه وعلى الدور المتوقع له من خلال عملية التفاعل الثقافى داخل أسرته.

ويتوقف ما تنقله الأسرة من ثقافة للطفل على ما يدخل فى خبرتها من مظاهر للثقافة وعلى ما ترجوه لأبنائها من مستقبل، وبذلك قد يؤدى النمط الثقافى المتدنى للأسرة إلى تخلف فى جوانب التنشئة المختلفة للطفل تكون سببا فى كثير من المشكلات الأسرية فى أسرهم المستقبلية، ويطلق على مثل هؤلاء الأطفال ب"الأطفال المحرومون ثقافيا".

وقد أجريت البحوث العديدة فى هذا المجال وأخذ موضوع الأطفال المحرومين ثقافيا يحتل مركز الصدارة فى التجريب العلمى والتحليل التربوى، وخلصت إلى المطالبة بمحتوى تعليمى مناسب لهؤلاء الأطفال لتعويضهم عما فاتهم فى عملية التنشئة الاجتماعية وسمى هذا "التربية التعويضية" [٢].

فالمستوى التعليمى والثقافى للأسرة يؤثر على مدى إدراكها لحاجات الطفل وكيفية إشباعها، والأساليب التربوية التى يتبعانها فى معاملة الطفل وإشباع حاجاته وبالتالى تقع الأسرة دون قصد فى كثير من الأخطاء التى تؤثر على أطفالها، كما يؤثر هذا المستوى أيضا فى إقبالهم على الاستعانة بالجهات المتخصصة، ومكاتب الاستشارات فى تربية الطفل [٣]. مما يسهم فى غياب البيئة الأسرية ذات المستوى المواتى للتربية الصحيحة، ولا يتوافر الأساس السليم للقيام بالدور التوجيهى والإرشادى للأبناء، والذى من شأنه أن ينمى قدرات الأبناء العقلية والحركية والوجدانية المسهمة فى تحقيق مجتمع

١- المرجع السابق، ص ١٣.
٢- محمد لبيب النجيحى، مرجع سابق، ص ١٤٤.
٣- إقبال محمد بشير، إقبال إبراهيم مخلوف، مرجع سابق، ص ٧٥.

الغد الذى نصبو ونتطلع إليه [١]. فضلا عن الأثر السيئ الذى قد ينعكس عليه من والديه نتيجة لعدم معرفتهما لطبيعة مراحل نموه، مما يسبب مضايقات كثيرة للطفل قد تكون سببا فى انحراف سلوكه [٢].

ونظرا لأن الأم هى التى تقوم بالقسط الأكبر فى تربية الطفل وتنشئته خاصة فى السنوات الأولى من حياته، ويؤثر الأسلوب الذى تستخدمه معه تأثيرا كبيرا فى تكوين شخصيته، لذلك تعتبر اتجاهات الأم وتوقعاتها نحو تربية الطفل من الأمور بالغة الخطورة فى تحديد دورها فى حياة أبنائها .

والشائع أن الأمهات تقمن بتربية أولادهن بدون تدريب أو دراسة، فهن ينشئن أطفالهن بما عندهن من حب طبيعى، ولكن الحب وحده لا يكفى لتربية الطفل التربية الصحيحة، فالحب لا يقوم مقام العلم أو يغنى عنه، فلن يستطيع الوالدان بالحب وحده مواجهة حاجات الطفل ومطالب تربيته الجسمية والنفسية والخلقية السليمة [٣]. لذلك يلجأ بعض الأباء فى دول متقدمة إلى استشارة المتخصصين لمعرفة الطرق السليمة فى تربية الأطفال، ويتلقى بعضهم تدريبا عمليا حتى يتمكنوا من تلبية حاجات أطفالهم النفسية والتربوية [٤]. ويرى العديد من الباحثين أن إعداد الأم لتربية الطفل منذ ولادته وتزويده بمقومات حب المعرفة ضرورة لا تقل أهمية عن إعداد الأم لتربية الطفل جسميا ووجدانيا وأخلاقيا دون وضع قضية المعرفة فى هذا الاعتبار[٥].

ومن النواحى العقلية المعرفية نجد أن المعدل السريع للتغير الذى يجرى فى عالم اليوم أدى إلى تزويد الأطفال بخبرات تكنولوجية وثقافية ومعلوماتية كثيرة لم يحظ بها الأباء من

١- سعدية محمد بهادر، برامج تربية أطفال ما قبل المدرسة بين النظرية والتطبيق، (القاهرة: الصدر لخدمات الطباعة- سيكو، ١٩٨٧)، ص ٢.
٢- محمد سمير حسانين، المؤسسات التربوية، (طنطا: دار أبو العينين، ن-ت)، ص ص ٢٥٦-٢٥٨.
٣- فوزية دياب، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مرجع سابق، ص ١٤١.
٤- محمد عبد القادر أحمد، دراسات فى التربية العربية، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٧)، ص ١.
٥- إبراهيم عباس الزهيرى، مرجع سابق، ص ٥٨٩

قبل، وتعذر على الأباء ذوو المستوى الثقافى المتدنى فهمها ومسايرتها، مما يؤثر على نمط التفاعلات الأسرية الذى يحول دون وصول الطفل إلى عالمه العصرى وشخصيته المتزنة.

كما أن الطفل الذى ينشأ فى أسرة قد توافرت فيها أدوات التثقيف المختلفة كالراديو والتليفزيون والصحف والمجلات، والتى تصحب الطفل فى رحلات خلوية، وإلى السينما والمتاحف والمعارض، والتى تقتنى مكتبة خاصة فى المنزل، تكون أمام هذا الطفل فرصة كبيرة فهو يسمع أو يرى أو يقرأ معلومات جديدة تضاف إلى حصيلته التى تكونت من كبار الأسرة، وكذلك التى تتبادل الزيارات مع الأقارب والأصدقاء، فيها فرصة لتعلم الطفل كيف يتعامل مع الآخرين.

وعلى عكس ذلك الطفل الذى ينشا فى أسرة فقيرة تفتقد لوسائل الترفيه والتثقيف فلا راديو ولا تليفزيون ولا صحف ولا مجلة ولا رحلات خلوية، ولا غيرها من مجالات التثقيف المختلفة، فإن ذلك يفقده فرصا للمعرفة اللازمة لحياته، ويؤثر على درجة ذكاءه التى تتأثر بظروف الأسرة الثقافية والاقتصادية .

وقد تؤدى هذه الأسر الفقيرة ثقافيا واقتصاديا إلى انحراف الأطفال، فقد دلت بعض الدراسات التى أجريت فى شيكاغو، أن الإجرام متركز بوضوح فى حى "لوب" الخالى من الحدائق والملاعب، وحيث يعد أى نشاط للأطفال حتى مجرد لعبهم فى الشارع ضار وغير مسموح به فى الوقت الذى تقل فيه الجرائم فى أطراف الحى حيث تتوافر الساحات الفسيحة، مما يدل على أن هناك علاقة مباشرة وقوية بين سلوك الأطفال وظروف تربيتهم وإمكانيات اللعب المتاحة لهم [1] .

كما أن هناك المشكلات الناتجة من أثر انخفاض المستوى الثقافى للأسرة وماله من علاقة بانهيار المستوى الأخلاقى حيث تصبح البيئة المحيطة بالطفل بيئة فاسدة لا تصلح

١- عبد السلام عبد الغفار، مشكلات الطفولة نظرة عامة ، ندوة حول العمل مع الأطفال، مركز دراسات الطفولة جامعة عين شمس، ١٩٧٨، ص ص ١-٣.

للتنشئة، ففى البيئة الأسرية الأمية تشيع قيم القدرية والاتكالية والتفكير غير العلمى، ولا تتوفر أسس الرعاية الصحية والنفسية السليمة للأبناء، ويعتمد أسلوب الآباء فى ضبط الأطفال على إثارة الخوف، والتهديد بالعقاب، والسب والشتم فيتعلم منهن الأطفال الألفاظ النابية.

وفى مثل هذه البيئة تضعف أو تغيب سبل التفاعل والتعاون بين أسرة التلميذ ومدرسته، وتكثر حالات الرسوب والتسرب، وفى ظل هذه البيئة تشيع حالات تشغيل التلاميذ وهم صغار فى أعمال قاسية طمعا فى القيمة الاقتصادية لعمل الأبناء، ولذا لا نندهش حينما يستخدم البعض وصفا لحالة هؤلاء الأطفال بوصف "الطفولة المهمشة".

رابعاً: المستوى القيمى للأسرة (تربية القيم والمعايير لدى الأبناء):

يعد البناء القيمى من أهم أركان التنشئة الاجتماعية للطفل منذ سنه المبكر، ويتم هذا بوضع أسس قيام ضمير يوجه سلوك الصواب والخطأ، فالضمير يعمل دافعاً له على عمل ما يعرف أنه صحيح، وتجنب ما يعرف أنه خطأ عندما يكبر فى العمر ويصبح ضميره بديلاً للأب كرقيب عليه [1] . وكلما كانت التوجهات القيمية للطفل متسمة بالإيجابية كان ذلك دافعاً له على المضى نحو أفاق مستقبله محصناً بالدعامات التى تمكنه من التعامل مع الحياة [2].

فقد كشفت مختلف البحوث النفسية والاجتماعية أن ضمير الفرد وفكرته عن نفسه وأسلوبه الخاص فى معاملة الناس وفى مواجهة المشكلات وما يكتسبه الفرد خلال مرحلة الطفولة من اتجاهات دينية وقومية وسلالية تظل عالقة بضميره ويصعب تغييرها فى الكبر[3].

١- محمد جميل محمد يوسف وفاروق سيد عبد السلام،النمو من الطفولة إلى المراهقة، (جدة: مكتبة تهامة، ١٤٠١هـ) ص ٣١٤.

٢- محمد عبد العليم مرسى، الطفل المسلم بين منافع التليفزيون ومضاره، ط١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٧) ص ص١٤٧-١٤٨.

٣- محمد مصطفى زيدان و نبيل السمالوطى، مرجع سابق، ص ١٦.

ومن هنا جاءت وصايا فلاسفة التربية الإسلامية، بضرورة مراعاة ميول الطفل وغرائزه الفطرية، واعتبروه "جوهرة نفيسة" خالية من كل نقش وصورة، قابل لكل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وإن عود الشر أهمل، شقى وهلك، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له" (١).

ويمر السلوك الخلقى للطفل بمستويات ومراحل يتلو بعضها بعضاً، وبذلك يستطيع العائل أو المربى أن يهدى الطفل فى نموه الخلقى ويسير به من مستوى أو مرحلة إلى المستوى الذى يليه، ويستطيع أن يكتشف ما يسرع بالطفل للوصول إلى المستوى الخلقى النهائى، وما يعوقه عن الوصول إلى هذا المستوى ليعالج الموقف علاجاً صحيحاً (٢).

ويتأثر النمو الخلقى لدى الطفل بعديد من المؤثرات يمكن تقسيمها إلى مؤثرات شخصية ومؤثرات عامة. وتتمثل المؤثرات الشخصية فى الذكاء، الحاجات والميول الطبيعية، والاتجاهات وروح المبادرة والإرادة (٣)، فالأنا الضعيف يعطل تكوين الأنا الأعلى (الضمير)، الأمر الذى يجعل الطفل ضعيف العقل غير قادر على السيطرة على استجاباته البدائية فيسهل استمالته للسلوك العدوانى وانحرافه (٤). وتتمثل المؤثرات العامة فى نوع الطبقة الاجتماعية، والجو العائلى، والنماذج السلوكية التى توفرها له الأسرة، والقيم الخلقية التى يغرسها الآباء فيهم منذ الصغر.

وتؤثر الطبقة الاجتماعية على نوعية الأخلاق التى تنمو فى الطفل، فأطفال الطبقات الاجتماعية والاقتصادية الدنيا أكثر تسلطاً فى اتجاهاتهم وأكثر قبولاً وتسامحاً إزاء الأفعال الخاطئة وذلك بالمقارنة مع أطفال الطبقات العليا (٥) . فجناح الفرد يرتبط

١- الإمام محمد الغزالى، إحياء علوم الدين، ج ٣، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت)، ص ٧٢
٢- هدى محمود الناشف، استراتيجيات التعلم والتعليم فى الطفولة المبكرة، مرجع سابق، ص ص ٥٩، ٦٠.
٣- بيو كنكيتى، التربية الأخلاقية فى رياض الأطفال، ترجمة فوزى محمد عيسى، مراجعة كاميليا عبد الفتاح (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٢)، ص ٢٠.
٤- محمد عبد المؤمن حسين، مرجع سابق، ص ٢١٣.
٥- عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية النمو ـ دراسة فى نمو الطفل والمراهق، مرجع سابق، ص ١٦٩.

ارتباطا وثيقا بالتنشئة الاجتماعية، فهى التى تحدد الأنا الأعلى للفرد وهى التى تنظر إلى السلوك على أنه جانح أو غير جانح، أى أنها تقوم بعملية تقييم للسلوك والمجتمع وأخلاقياته وقيمه وعاداته وتقاليده، وهى التى تحدد نمط الجناح ودرجته. فالجانح شخص ينحرف فى سلوكه عن عادات التنظيم الاجتماعى وأخلاقياته وقيمه، هذا من وجهة النظر الاجتماعية والقانونية، أما من وجهة نظر الطب العقلى والنفسى فان الشخص المنحرف الجانح هو شخص غير قادر على التكيف[١].

ويعد النموذج أيضا من أهم الأسلحة المستخدمة لتعليم الأخلاق والقيم، فالطفل دائما يميل إلى التقليد، ولذلك ينبغى أن يحرص الآباء والمعلمون، على أن يكون سلوكهم على وتيرة واحدة مع أوامرهم [٢]. فالطفل الذى يرى أبويه يكذبان لا يمكن أن يطيعهما إذا أمراه بالصدق، والذى يرى والداه يغشان ويسبان الآخرين، وما إلى ذلك من الصفات غير المستحبة ينشأ عليها ومن الصعب عليه التخلص منها. فعقل الطفل لا يقبل التناقض [٣] لأنه لم يبلغ بعد المرحلة التى تمكنه من التبرير والتمييز.

ومن ثم ينعكس تمسك الأسرة بالقيم والأخلاقيات الدينية بصورة إيجابية على سلوك الطفل، فينشأ بصورة طبيعية على احترام السلطة الأبوية والإيمان بالله وطاعة أوامره، متمسكا بالقيم الروحية. وهذا يتطلب ضرورة توفير القيم الروحية أو المحافظة عليها داخل الأسرة، فالممارسات الدينية للأسرة ترفع مستواها فكريا وتمنع الانحراف وتؤدى إلى تأكيد الفضائل لدى أطفالها. فتأثير فعلها أقوى وأشمل من تأثير القول [٤] ، وممارسة الأساليب والقواعد الأخلاقية أمام الأبناء تكسبها لهم، ويقنعون بسلوكها ونظرتها للصواب والخطأ من الأمور.

١- محمد عبد المؤمن حسين، مرجع سابق، ص٢١١

٢- زكريا الشربينى، يسرية الصادق، تنشئة الطفل وسبل الوالدين فى معاملته ومواجهة مشكلاته، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٦)، ص ٢٦٧.

٣- عبد العلى الجسمانى، مرجع سابق، ص ٤٦.

٤- انتصار يونس، مرجع سابق، ص ٢٧١.

فللمبادئ الأخلاقية معانى خاصة لدى الطفل فالخير فى نظره عبارة عن الأشياء التى يصرح له بها - الأوامر- أما الشر فهو الأعمال التى تغضب الكبار - النواهى-، وبتقدم عمر الطفل تتحول القوى الرادعة الخارجية (الأوامر والنواهى) الصادرة من الآباء والأمهات والمربيين إلى أن تصبح قوى ذاتية داخلية هى ضمير الطفل، بمعنى أن هذا الضمير يتكون عن طريق امتصاص قيم من يقومون بتربيته واكتسابها، وتصبح بذلك معايير الطفل نفسه [١]، فيشعر بالإثم والقلق إذا هو لم يتبعه، بل قد يعاقب نفسه [٢].

ويكون تبنى الطفل للمعايير الوالدية قائماً على أساس عملية توحد إيجابية بين الطفل ووالديه، أى يعتمد على مقدار الحب والدفء الذى يحاط به الطفل فى علاقته بوالديه [٣].

فلكى يتقبل الطفل الأوامر ولا يتجاهلها، لا بد أن تكون صادرة عن شخص موضع حب وخوف فى آن واحد، وليس محل شعور واحد منهما فقط، ومن هنا يتولد لدى الطفل الشعور بالواجب كواجب [٤]. فأسلوب التربية القائم على أساس الحب هو الذى يؤدى إلى تنمية الضمير، أما الحماية الزائدة أو الخضوع لرغبات الطفل المبالغ فيها فإنهما يؤديان إلى زيادة نزعات الطفل نحو العصيان [٥]. وحينما يشعر بعدم الأمن والحب والاطمئنان يضطر إلى التنفيس عن غضبه وانفعالاته المكبوتة بطريقة ملتوية والتى تبرهن على عدم تكيفه مع المجتمع المحيط به.

١- عبد الرحمن العيسوى، دراسات فى علم النفس الاجتماعى، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠)، ص ص ٤١٧، ٤١٩.

٢- بول مسن وآخرون، أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامه، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٦)، ص٢٩٢.

٣- جان بياجى، التوجهات الجديدة للتربية، ترجمة محمد الحبيب بلكوش، ط ١، (المغرب: دار توبقال للنشر ١٩٨٨)، ص ص ٥٨، ٥٩.

٤- جان بياجى، مرجع سابق، ص ص ٦٢، ٦٣.

٥- الإمام محمد الغزالى، مرجع سابق، ص ٧٢.

ولا يكتفى الأبوان بأن يكونا صالحين، بل يجب أن يعلما أولادهما مكارم الأخلاق والقول الحسن والصفات الحسنة، والأعمال الصالحة، وأن يدعوا أولادهما إلى التحلى بالفضيلة، وتجنب المنكرات ومواطن الشبهات، وبيان المنافع وثمراتها، والمفاسد ومساوئها

ويعد تهذيب الدوافع والاستجابات أهم محاور التنشئة والتطبيع الاجتماعى[١] فتعزز الأسرة أنماط السلوك التى يريدها المجتمع، أو تقتلع أنماطا أخرى لا تتوافق مع المجتمع النظامى وتعوق عمل هيئاته ومفوضيه، فالحياة الأسرية نقطة انطلاق للحياة الاجتماعية ونماذج السلوك الجماعى، والاعتدال فى الثواب والعقاب.

فتدنى التربية المقدمة يسبب انحرافا للطفل واضطراب المعايير لديه نتيجة لتكوين بعض المفاهيم الخاطئة عن السلوك السوى، فالأطفال ينحرفون فى العادة ليس لرغبتهم فى الانحراف لذاته ولكن لأنهم لم يوجهوا الوجهة السليمة ولم يتلقوا الرعاية التربوية والنفسية الكافية [٢] . فالسلوك الخاطئ غالباً هو نتاج تنشئة والدية خاطئة وظروف أسرية سيئة تربوياً، لأن كل ما يحدث أمام الطفل يترك أثراً فى نفسه ويؤثر فى تكوينه النفسى ثم ينعكس على سلوكياته تجاه الآخرين.

ومن الوسائل التى تعين على تحقيق التربية الخلقية السوية للطفل، استعمال الأمثال والتشبيهات، فهى تؤثر تأثيرا عميقا فى عواطف الطفل، وتلعب دورا فى التأثير على سلوكه، فيما لو استعملت بحكمة وفى الظرف المناسب [٣].

وأيضا استخدام القصة، لتدعيم مبدأ أو للنهى عن منكر، ولابد أن يكون للقصة التى تقدم للطفل مغزى تربوى، فهى تتغلغل فى الأعماق النفسية مؤثرة بصورة ساحرة، حتى يتمثل فى النهاية سامعها أو قارئها ما تهدف إليه [٤]. وللقصص الدينية أهمية خاصة فى

١- محمد رفقى محمد فتحى، فى النمو الأخلاقى، ط١، (الكويت: دار القلم، ١٩٨٣)، ص ص ١٣-١٧.
٢- عبد العزيز الغريب مجاهد صقر، مرجع سابق، ص ٩.
٣- حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص ٢٨٩.
٤- أمال محمد حسن عتيبة " فلسفة تربية طفل ما قبل المدرسة في مصر (تصور مستقبلي) " ، رسالة دكتوراه جامعة عين شمس ، كلية البنات ، ١٩٩٤، ص ص ٩٩، ١٠٠.

هذا الشأن حيث تعد وسيلة فعالة فى غرس السلوك المرغوب فيه دينياً وخلقياً واجتماعياً حيث يعيش الطفل أحداثها، ويستخلص منها العبرة بطريقة شيقة تخلو من الأمر والنهى

كما أنه لابد من وجود ضوابط أسرية على البرامج والأفلام التى تم تصميمها وتنفيذها لغير الأطفال، بحيث نجعل التعرض لها من جانب الطفل مشروطاً أو محدداً للغاية، وأن نشاركهم المشاهدة للرقابة والتوجيه الصحيح، والتناقش فى سلبيات وإيجابيات المادة الإعلامية المعروضة، وما تبثه من قيم وسلوكيات تتفق أو تتنافى مع ثقافة المجتمع.

فالتقليد الفعلى لما يشاهده الأطفال يعتمد على اتفاق هذه الأفعال مع القيم الخلقية التى تعلموها، وعما إذا كان هذا التعليم قوياً بالدرجة التى تحول بينهم وبين الإقدام على مثل هذه الأعمال، ويكون التأثير قوياً فى الحالات التى لا يكون الأطفال قد اكتسبوا فيها خبرات عن طريق الجماعة الأولية، فيؤثر على معتقداتهم واتجاهاتهم ويبنى نماذج جاهزة جامدة فى أذهانهم [1].

أما عن تأثير الجو العائلى فقد تأثرت قوة الأسرة وتماسكها بالتغيرات الحضارية السريعة، فمع انتشار العولمة تعالت صيحاتها المنادية بإعلاء القيم المادية بديلاً عن القيم الروحية والدينية، وبمزيد من الحرية والاستقلالية، والتخلص من قيود الأسرة والمجتمع والوطن والدين، وإعلاء مصلحة الفرد ورغباته وميوله وأهوائه الشخصية على مصلحة الأسرة والمجتمع والأمة -مبدأ الحرية الفردية- دون مراعاة للعرف والتقاليد والأديان والأوطان. وكانت النتيجة مزيد من التفكك للأسرة، حيث حلت الأنانية والفردية والصدام بديلاً على روح المحبة والإيثار والجماعة والحوار، فأصبح الأفراد فريسة سهلة لقوى السوق الوافدة، واندفع البعض للبحث عن حياة أسرية صحية تربط بإطار من النظام الدينى الذى يحافظ على تماسكها ويحقق استقرارها.

١- أحمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية، (القاهرة: دار قباء، ١٩٩٧)، ص ٩٤.

وعلى الأسرة أيضاً مقابلة ذلك بغرس القيم الاجتماعية الصحيحة لدى الأبناء كقيم التعاون والصدق والتسامح والحب، وغير ذلك من القيم التى تمكن الأبناء من التنشئة الاجتماعية السليمة ومواجهة الغزو الثقافى، والبعد عن القيم الاجتماعية السلبية التى تحاول قنوات الغزو الثقافى نشرها، كقيم الأنانية وحب الذات والكذب والنفاق والعنف والغرور والطبقية والاغتراب وفقدان الهوية.

ففى داخل الأسرة الواحدة لا يجب أن تسود الفردية والأنانية أو أن يجور أى فرد فيها على حق الآخر، فبتنمية مبدأ الأخذ والعطاء يحدث توازن وتنظيم وتقوية للعلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة، وبالتالى بين أفراد الأسر المختلفة داخل المجتمع الواحد، وكلما ازداد تماسك الأسر كلما صار المجتمع متماسكاً تسوده الفضيلة والمودة والرحمة.

فالأسر المفككة تقود أفرادها إلى الفردية والانعزالية واللامبالاة مما يؤدى إلى كثير من الانحرافات خصوصاً بين الأبناء، ومن ثم تنتشر الأمراض الاجتماعية والجرائم فى المجتمعات المختلفة [1] . فأكثر الأمراض الخلقية كالأنانية، والفوضى وفقدان الثقة بالنفس وعدم الشعور بالمسئولية والرياء والنفاق، إنما تنشأ جرثومتها الأولى فى البيت ويصعب على المدرسة والمجتمع استئصالها بعد أن تتمكن وتزمن[2].

خامساً: المستوى الاقتصادى للأسرة:

يعيش المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر ظروفا اقتصادية أدت إلى العديد من المشاكل، من زيادة متلاحقة فى الأسعار، يقابلها دخل متدن، وبطالة سافرة ومقنعة وعمالة للأطفال، وتفجر أزمة الإسكان، وضعف الإمكانيات، والعجز عن توفير الحد المقبول من المعيشة، مما كان له تأثير مباشر على الأسرة عامة، حيث اندفع رب الأسرة لاهثا لجمع

١- عبد الله الرشدان، نعيم جعنينى، المدخل إلى التربية والتعليم، (الأردن: دار الشروق، ب.ت)، ص٢٨٠
٢- عبد الله الرشدان، نعيم جعنينى، مرجع سابق ، ص٢٨٠

المال، فأصبح يبذل كل جهده ويقضى معظم وقته ليوفر حاجات أسرته، أو ليحقق مكانة اجتماعية معينة، مما أدى لطغيان دوره المادى على دوره التربوى، فتباعدت المسافة بينه وبين الأبناء ومشاكلهم، بل قد لا يدرك ما يدور داخل المنزل منشغلا بهمومه خارجه، وفقد الكثير من أدواره، ومعظم سلطته الضابطة، هذا غير افتقاد الأبناء للقدوة الحسنة والمثل الأعلى.

فالمستوى الاقتصادى المنخفض لا يعنى عجز الأسرة عن إشباع حاجاتها الأساسية فقط، ولكن يعنى أيضا فشل أفرادها فى القيام بواجباتهم واهتزاز الأوضاع الأسرية، لأن الفقر يشعر الأبناء بعدم الأمان، ويعرضهم لخبرات قاسية محبطة، تؤثر على الأسرة وتكاملها.

كما تحولت حياة المصرى عامة من الكيف إلى الكم، فأصبحت قيمة الإنسان بما يملك، حتى التعليم والاتجاه إليه لم ينج من ذلك، فبعدما كان العلم قبلة الإنسان المصرى ومرمى طموحه، يستقيه من كل مصدر، أصبح المقياس هو العائد المادى، وكلما تغيرت سوق العمل تجاه مهنة كلما تغير اتجاه التعليم إليها، وظهرت العديد من القيم التى ترى أن التعليم الجامعى غير مجد ماديا، فلم يعد ضروريا للأبناء، والأهم منه كيف أربح سريعا وكثيراً.

ونجم عن ذلك ظهور العديد من المشكلات بل الأزمات النفسية والصحية والاجتماعية وخاصة مع التفاوت الواضح فى مستوى الحياة، بل مستوى إشباع الخدمات الأساسية والصحية، والتى أصبحت مرآة تعكس تفاوت الدخل والطبقات فى مصر [1] فقد ساعد الاقتصاد الحالى على ظهور الطبقات الطفيلية التى تتسلق الأوضاع [2] ، وتعمل

١- بنت هانسن، سمير رضوان، العمل والعدل الاجتماعي، مصر في الثمانينات، ط١، (القاهرة: دار المستقبل العربى ١٩٨٣)، ص ص ١٢٦-١٢٨.
٢- سعيد إسماعيل على، زينب حسن حسن، مرجع سابق، ص ١٤٦.

فى أنشطة غير مجدية، وتكون منها ما يسمى قطاع الانفتاح الذى تحرك حراكا اجتماعيا صاعدا، وتمتع بما فوق الكماليات.

واستطاع الغرب بالتكنولوجيا الهائلة وأدواته الإعلامية المتقدمة أن ينشر ويروج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجارى، التى روجت لعديد من القيم الغربية الاستهلاكية [1] ، كزيادة الاستهلاك الترفى وتقليد الغرب فى المأكل والملبس والمسكن واقتناء السلع الترفيهية، والتى جعلت المواطن العربى يشعر بالحاجة إلى قيم واحتياجات ومتطلبات جديدة قد تكون فى أغلب الأحيان متناقضة مع القيم والعادات العربية الأصيلة مما أدى إلى اختفاء العديد من القيم الاجتماعية والدينية العربية، وأصبح المجتمع العربى مجتمعاً مقلداً، هدف طبقاته الاجتماعية هو مدى قدرتها على محاكاة الغرب واقتناء منتجاته والتعامل بسلوكياته، وتشجيع المبادرات الفردية القائمة على الأنانية والاستغلال وبث قيم الفوضى والبيروقراطية والرشوة والفساد.

وحرك ذلك مشاعر أبناء الطبقة الوسطى والدنيا التى لا تملك إلا الضروريات، وفرض عليهم تطلعات وأنماط استهلاك جديدة، وأسعارا خاصة تمتص معظم دخلهم، مما ساهم فى نمو الأمراض الاجتماعية، وانتشار الحقد فى النفوس، نظرا لاستمتاع البعض بما فوق الكماليات، وعجز الآخرين عن توفير الضروريات، والمعاناة من الفقر والجهل والمرض.

واختل توافق الأفراد وتكيفهم كنتيجة حتمية لخلل النظام الاقتصادى، وسهل الانحراف والخروج عن المعايير، وانتشرت الجرائم التى ترتفع مع فترات الكساد أو فترات الرواج مع سوء التوزيع [2]. وفقدت تلك الطبقة التزامها المعروف، وأصبح من الصعب على أفرادها التمسك بقيمهم ومبادئهم، وظهر بينهم الفساد الإدارى والأخلاقى لاستعادة الثروة

١- محمد على الأصفر،" مظاهر الغزو الثقافى الأوروبى للوطن العربى"، مركز البحوث والتوثيق الإعلامى، مجلة البحوث الإعلامية، القاهرة، العدد الأول، ١٩٩٤، ص ص٢٦،٢٧.
٢- محمد عارف، الجريمة فى المجتمع، ط٢، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٨١)، ص ٢٧٣.

والمكانة الضائعة، ولتفادى الحراك الهابط، واندفع المصريون فى تيار الهجرة الخارجية يحركهم الحرمان والرغبة فى التعويض [١].

ولكن الهجرة لم تف بالمطلوب فبعد ما كان المهاجر يهتم بالتوفير، ويستثمر أمواله فى المشروعات ذات العائد القومى، أصبح يلهث وراء السلع الاستهلاكية، والمنتجات الأجنبية، وزيادة معدل الاستهلاك الترفى والمظهرى[٢].

ويقابل هؤلاء معاناة الذين لم يوفقوا للهجرة الخارجية، فظلوا يعانون التطلعات المادية، والطموحات الاجتماعية، ويرون بحسرة الفارق فى المرتبات بينهم وبين المهاجرين والذى وصل فى بعض الأحيان إلى مائة ضعف أو أكثر [٣].

أما التأثير الأخطر للأوضاع الاقتصادية فهو ما أصاب القيم الأسرية من تغيرات وتبدلات وسيادة القيم الفردية عليها [٤]، فالمنافسة المالية والتكالب على الربح، ومستوى الطموح الأكبر من إمكانيات الفرد تؤدى لذبذبات أسرية وتدهور العلاقات، فالمعاناة والمشكلات الاقتصادية تجرف أمامها أية روابط أسرية أو شخصية [٥]. مما يعرض الأطفال إلى مختلف الخبرات والتجارب القاسية والإحباط المتواصل الذى يدفعهم إلى السلوك المنحرف، والانحلال الأخلاقى، ويفقد الاحترام لنفسه وللقيم الأخلاقية عامة ويعيش مترددا بين الظلم والقسوة والمهابة والخوف والعدوان ومن ثم يندفع إلى التعبير عن كل ذلك فى مسالك غير مرغوبة اجتماعيا[٦].

كما أن نظرة الأبناء تختلف نحو الأب العاطل، ويقارنون بينه وبين غيره من الآباء الذين يعملون ويوفون بكل التزاماتهم نحو أبنائهم، الأمر الذى ينعكس على نفسية الأبناء

١- نادر فرجانى، الهجرة إلى النفط، (بيروت: دار المستقبل العربى، ١٩٨٣)، ص ١٠٤.
٢- بنت هانسن، سمير رضوان، مرجع سابق، ص ص ٣٣٧-٣٣٨.
٣- المرجع السابق، ص ١٤٠.
٤- سوسن عثمان عبد اللطيف، التغيرات التى طرأت على الأسرة فى المجتمعات الحضرية، (القاهرة: دار فينوس للنشر، ١٩٨٨)، ص ٢٩.
٥- سامية محمد جابر، الإنحراف والمجتمع، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨)، ص ٢٠٥، ٢٧٢
٦- عثمان فرج، الصحة النفسية للأسر، (القاهرة: دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، د.ت)، ص ١٦.

ذاتهم، إذ يفقدون الشعور بالطمأنينة والثقة، ويحاول بعضهم أن يبحثوا بدورهم عن جماعة أخرى يمكن أن تقوم حيالهم بواجب الحماية والمعونة، مما قد يدفعهم إلى الانحراف وربما إلى الإجرام [١].

أما عن أثر المستوى الاجتماعى-الاقتصادى فى علاقته بالأبعاد النفسية للطفل، فقد أسفرت الدراسة التى قام بها دوجلاس ١٩٦٤ وأشار إليها ديف وآخرون عن وجود فروق دالة إحصائياً بين الأطفال المنتمين للمستويات الاجتماعية-الاقتصادية الأرفع مستوى وبين الأطفال المنتمين لمستويات أدنى [٢]، وبخاصة الذين يقيمون فى الأحياء المتطرفة الفقيرة وفى الأكواخ ومدن الصفيح بأفريقيا، ليس فقط فى اللغة وصعوبات الكلام، ولكن يظهر هذا الفرق أيضاً فى تدنى طموح الفئة الثانية وانخفاض رغبتهم فى التعليم، مع ضعف إدراكهم وانتباهم واستخدام طرائق عشوائية فى حل المشكلات التى تواجههم وهذه أمور يختلف فيها هؤلاء الأطفال عن رفاقهم أطفال المجموعة الأولى.

ويشير مولى [٣] بأن الأمن الذى يتوفر للأسرة يساهم فى إيجاد الجو الأسرى المناسب لاستخدام أفضل أساليب التنشئة الاجتماعية، وهذا من شأنه يشعر الطفل بالأمن ويساعده على تكوين مفهوم إيجابى للذات. أما إذا عاش الطفل فى أسرة تعانى عدم الاستقرار نتيجة لفقر مواردها أو عدم توافر الجو الثقافى والاجتماعى المناسب، هذا الطفل يصبح سلبيا فى معاملاته مع الآخرين، أو يصير منطويا أو اعتماديا على الكبار غير مرحبا بالتعاون مع أنداده، نتيجة فقدانه لمصدر الأمن والحماية والثقة. كما أن الحرمان المادى الذى تعيشه أسر هؤلاء الأطفال وما يترتب على ذلك من صعوبات ومشاكل وتوتر الوالدين يحد من فرص مشاركة الوالدين فى الأنشطة التعليمية للأبناء، وهذا من شأنه

١- يسر أنور على، آمال عبد الرحيم عثمان، أصول علمى الإجرام والعقاب، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٢) ص ص ٣٤٠-٣٤١

٢- شاهيناز محمد عبد الله، مرجع سابق، ص ٩١٦.

٣- المرجع السابق، ص ص ٩١٧-٩١٨.

إضعاف رغبة الآباء فى استمرارية الأبناء فى المدارس، ومن ثم انخفاض أو إهدار مستوى طموح الأبناء.

وقد وجد أن الأباء والأمهات فى الأسر ذات المستوى الاقتصادى العالى والمتوسط أكثر قبولا وأكثر سماحة وتقبلا لحاجات الطفل، فى حين أن الأمهات ذات الدخل المنخفض غير قادرات على فهم التربية السليمة للطفل، وأيضا غير قادرات على خلق مناخ أسرى يساعد على تعليم الطفل وتنمية قدرته الإبداعية [1].

وجدير بالذكر أن النمط الشائع بين الكبار اليوم إبعاد الطفل عن الأفكار الاقتصادية واعتبارها من متطلبات الكبار فقط، الأمر الذى أدى إلى تنشئة أطفال لديهم إحساس بعدم الاكتراث والاستهتار الاقتصادى وكبار بوعى متدن اقتصاديا [2]، وأطفال القرن الحادى والعشرين يجب أن يكونوا بصورة مختلفة اقتصاديا عما مضى، فيعرفون كيف يكون الإنفاق المعتدل، فلا ينفقون كل مصروفهم اليومى، بل ينفقون البعض ويتركون البعض فى دفاتر توفير، كذلك على الطفل أن يتعلم أن لكل سلعة مقابلا من المال يسمى السعر، وأن يتمكن من معرفة معيار للسعر المناسب للسلعة حسب جودتها، كما يعرف السعر الذى يناسب ما لديه من مال، وكل هذه المعلومات يمكن لولى الأمر إكسابها له ليكون مواطنا لائقا لعصر سريع التغير.

فالظروف المجتمعية الحالية أثقلت كاهل الأسرة وعليها أن تواجه مشكلاتها العضال، فينبغى عليها أن تهتم بغرس القيم والعادات الاقتصادية الصحيحة لدى أبنائها وتوعيتهم بأهمية التمسك بهذه القيم للحفاظ على دخل الأسرة، ولتحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمع، والبعد عن التقليد الأعمى لما يقذفه لنا الغرب من العادات

١- السيد إبراهيم السمادونى، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

٢- خلف محمد أحمد البحيرى، سيد أحمد طهطاوى،" بعض موجهات تربية الطفل المصرى فى القرن الحادى والعشرين من منظور السنة النبوية الشريفة"، المؤتمر السنوى الرابع للطفل المصرى (٢٧-٢٩) أبريل ١٩٩١ الطفل المصرى وتحديات القرن الحادى والعشرين، المنعقد بمركز دراسات الطفولة بجامعة عين شمس، ص ٢٤

والسلوكيات التى قد لا تتلاءم مع مجتمعنا وظروفه الاقتصادية، وتعرقل جهود الدولة فى تحقيق التنمية الاقتصادية، والعمل على مشاركة الأبناء فى غالبية القرارات الاقتصادية التى يتم اتخاذها على نطاق الأسرة، وعن طريق القدوة، حيث أن القدوة الصالحة من جانب الوالدين والأخوة الكبار فى سلوكهم الاستهلاكى الرشيد لها أبلغ الأثر فى سلوك النشء، وهذا يتطلب من الوالدين محاولة ترشيد استهلاكهم السلعى، وتصحيح عاداتهم الاستهلاكية الخاطئة، ومحاولة حسن استغلال الموارد المتاحة.

وخلاصة يمكن القول بأن الفقر أبعد ما يكون من الجوع ولكنه حرمان، فالأغلبية الساحقة من الفقراء يشاهدون بعيونهم مستوى عالياً من العيش والترف ولكنهم لا يستطيعون أن ينالوه أو يتذوقوه. والبقاء طويلاً فى هذا النوع من الفقر يطفئ فى النفوس جذوة الطموح والنشاط، ويخيب الآمال، ويستجيب الفقير لخيبة الأمل هذه بسلوك عدائى لأفراد الطبقة الغنية بوجه خاص وللمجتمع بوجه عام.